رَشاد دَارغَوث





الإهداء

الى الشاعر المهجري الكبير ،

شاعر الوطنية والحنين ،

صديقي الاستاذ جورج صيدح ،

اهدي هذه الصفحات ، المستمدة من واقع الأنسان حيثما كان ،

عربوناً على المحبة والاعجاب ، ومشاركة في التَوق والحنين !

حنين المغترب النائي الى ارض الوطن ،

وتَوق المقيم النفيس[1] ، الى بلوغ القِمم !

رشاد دارغوث

---

(١) قال المتنبي : ان النفيس غريب حيثما كانا ...

تقـديم

بقلم الاستاذ فريد مدور

●

عزيزي رشاد

لن اتعرض لتمثيليتك بنقد ما ، فالتأليف شيء والنقد شيء آخر . ولن يكون المؤلف ناقداً ، ولا الناقد مؤلفاً . فلكل ميدانه ومواهبه في الحياة . إنما محك التمثيلية او الرواية ، في عرفي ، جاذبيتها للمشاهد او القارىء ، وسيطرتها عليه حتى تملك عليه مشاعره ، فلا يستطيع تركها إذا بدأ بقراءتها ، إلى أن يستوعبها كلها . وهذا ما أصبتَ فيه نجاحاً طيباً بيّناً في « سيعودون » ، وقد انتزعتها من صميم حياتنا ومحيطنا ، ونثرت بين تضاعيفها عبر الحياة .

ولا يخفاك يا اخي ان الأدب التمثيلي عقوق جداً ،

وطريق النجاح فيه كثير العقبات . فالإجادة في التأليف فيه يجب ان تواكبها الإجادة في الإخراج ، وفي التمثيل ، وفي المسرح ، وفي الأنوار ، وفي جوّ بين المشاهدين مدركٍ مشجع ، متفاعل مع الممثلين — وكل هذه لا شأن للمؤلف بها ، ولا سيطرة له عليها غالباً . فعسى — وهذا ما اتمناه لك من كل قلبي — ان يتاح لروايتك هذه تضافر العوامل لتنال الفوز الذي تستحقه ، وقد وفّيت قسطك لها .

اقول هذا ، بعد ان قرأتُها مثنى وثلاث ورباع . فاذا بي أجد فيها ، في كل مرة ، متعة ، وفي كل اعادة ، فائدة ولذة. فادركت عمق غورها عبر بساطة مظهرها ، وفهمت منها معنى السهل الممتنع في الأدب التمثيلي . ورأيت رائد الفكر ، وراءها وقبل ابداعها ، يجول ويصول في ميدان الحياة ، فيقتطف منها ما غزر عبرة ، وسما مثالا ، وحسن نكتة ، لينظم عقداً فريداً جميلا « سيعودون » !

فلك مني تهنئة خالصة ، والسلام عليك ممن يتمنى لك اطراد النجاح .

المخلص : فريد مدور

مقدمة

يفتقر أدبنا الحديث الى المسرحية افتقار الأدب العربي القديم اليها . ولعل السبب بل الأسباب التي حالت دون بلوغ المسرحية عندنا ما بلغته القصة والاقصوصة ، على الاقل، من تطور، هي الأسباب عينها التي حالت قديماً دون ازدهار هذا الفن الجميل ، في عداد الفنون الجميلة ، بلغتنا الجميلة .

وفي اعتقادي ان كل خطوة يخطوها الأدب الحديث في هذا الاتجاه ، هي كسب لا يُقدر بثمن : ذلك ان المسرحية هي القمة التي انتهى اليها تطور الآداب لدى الامم الحية ، منذ اقدم العصور . فكانت المدارج (الامفيتياتر) اليونانية – الرومانية ، ودور الأوبرا العصرية ... مظهراً لذلك التطور في اوجه ، بل تجسيداً مادياً لما بلغه الأدب من سمو في اداء رسالته العظمى ،

رسالة الحق والخير والجمال ، رسالة الحضارة الانسانية .

وسواء أظلت المسرحية للمسرح ، أم تحولت الى السينما ، فانها تبقى قطعة حية من الحياة التي لا تبلى جدتها ، بما يكسبها الحوار من طبعية ، وبما تحبوها محاكاة الواقع من حركة وحيوية . وهي ، بفضل ذلك كله ، مثل القصة ، غذاء لا تعافه النفس مهما تكرر ، ولا تأنف منه الاسماع مهما تردد ، ولا تضوى به الأذواق على كل حال .

ومن هنا كان اكتظاظ المسارح — وما اليها — في البلاد المتمدنة بالرواد والمشاهدين للمرة الثانية والثالثة . ومن اجل ذلك تروج المسرحيات ، اذا طبعت في البيئات المتحضرة .

وانه ليسعدني ان ادفع الى المطبعة بهذه القصة الحوارية ، بعد ان عالجت الاقصوصة والقصة مدة طويلة ، لا كي أسهم فحسب ، في هذا الصعيد ، بنصيبي من الجهد ، بل كي ادلل كذلك ، مرة اخرى ، على ان هذه اللغة — لغتنا — صالحة للاعراب بالحوار عن ادق خلجات النفس واحدث وجوه الحياة — شرط ان نوليها بعض عنايتنا ، ونمحضها الحب الذي تستحقه لغة الام ، فنرعى بذلك حق القداسة ، الواجب الاداء نحو كل ما للوطن

من مقدسات .

وغير خافٍ ان المسرح عندنا مفقود. الا ان « المسرحيات » التي تُمثل، على مسرح الحياة ، أوفر من ان تُحصى ، في كل ناحية وحقل . فلا عجب اذن اذا اصطبغت هذه القصة الحوارية بالطابع الاقليمي ، وان كانت ، في جوهرها وسياق أحداثها ، انسانيــة النزعة والوقائع .

ومن هنا انبثق العنوان « سيعودون » . فان الجرح الذي ما برح ينزِف دم بلادي الى الخارج ، الى شتى المهاجر – جرح يفقدها اقوى عناصر الخير والانتاج فيها . وهو جرح تتساوى في تحمل نتائجه أمتنا وسائر الامم الراضخة لشتى العبوديات ، الاقتصاديــة والاجتماعية والفكرية .

وانني ارجو ان يجد القراء في هذا النتاج زاداً ممتعاً، فيشاركوا في التوق والحنين ، ويكونوا شهداء على ان الوطن، وما للوطن من تراث ، لا يُستبدلان باي ثمن !

المؤلف

أشخاص المسرحية

[حسب الترتيب الزمني لظهورهم]

●

حالة	: فتاة جامعية في حوالى الخامسة والعشرين ، جذابة ، وقادة الذكاء .
جميل	: محاسب في شركة التأمين : شاب دون الثلاثين جامعي ، متهالك على المال واللذات .
أم حالة	: امرأة متوسطة في السن ، غير مثقفة ، ولكنها داهية .
فايز	: ممثل ادارة السياحة والاصطياف ، شاب دون الثلاثين ، يتلبس

مظاهر الموظف المثالي .

الطبيب : رجل متوسط في العمر .

المحقق الاداري : رجل دون الخمسين .

الممرضة ادما : فتاة في حوالي الثانية والعشرين .

الكاتب : موظف عتيق ، دون الخمسين .

اولاده : ثلاثة صبيان اعمارهم ١٢ ، ١٤ و١٦ سنة .

مرضى في اسرتهم .

ممرضات .

شرطيان .

الجريح رقم١٣ او سعيد الأبراهيم : رجل في الخامسة والاربعين ، تبدو عليه مظاهر المغـترب الموسر ، وخشونة « راعي البقر » !

الفصل الأول

المشهد الأول

●

(ترفع الستارة عن غرفة قعود في منزل ، لا هو بالمترف ولا هو بالفقير المعدم – هالة خلف البيانو تعزف حالمة . ثم بعد فترة يدخل جميل)

جميل

– أنت وحدك ؟!

هالة

– (تتوقف عن العزف) يعني ! وانتَ لماذا تأخرت ؟

جميل

– كنتُ خارج المدينة ... بمهمة !

(يقترب جميل من هالة ، ثم يصافحها فتصافحه ببرود) وماذاجرى ؟

هالة

– ماذا جرى ؟ لا شيء !

جميل

– كيف لا شيء ؟ لماذا انتِ باردة على غير عادة ؟

هالة

ـ باردة ؟ من الطقس ! ألا تحسُّ حرارة الجو ؟

جميل

ـ واذا اشتد الحر ايضاً ؟

هالة

ـ انقلبتُ الى برّاد !

جميل

ـ دعي المزاح يا هالة ! كيف كان الاستقبال في المطار ؟

المشهد الثاني

●

(تدخل ام هالة بثياب المطبخ !)

هالة

ـ (تلتفت نحو أمها) اسأل ماما ! انها تهتم اكثر مني للاستقبالات وجميع المظاهر !

جميل (متمماً)

ـ ... المظاهر الفارغة ! (ثم يصافح ام هالة) وكيف

وجدته ؟

أم هالة

– مَن تعني ؟

جميل

– أعني الأستقبال !

أم هالة

– كان استقبالا رائعاً: امتلأت شَرفة المطار بالأهل والأصدقاء..

هالة

– وبالمصورين والصحفيين... اعني مخبري الصحف، وممثلي الجمعيات الخيرية ايضاً !

جميل

– بالطبع، ما دام ابن عمك غنياً.. كبيراً، كما يقولون! ثم نحن في بلد يكثر فيه السماسرة... من جميع الفئات والطبقات !

أم هالة

– تقول «يقولون» بغنّة !! كن على ثقة يا جميل ! انه «مليونير» كامل !

هالة

– وان كانت مظاهره لاتدل على شيء من ذلك !

جميل

– هل عاد ... بالسراويل التي هاجر بها ابوه ؟

أم هالة

– لا تسخر يا جميل ! انه تعلّم وتمدّن وصار مثالا في الأناقة !

جميل

– الأناقة ... الأمريكية !

هالة

– اعجبني ... تواضعه ! انه يصافح الكبير والصغير ، والبسمة لا تفارق شفتيه !

أم هالة

– وحينما ترجّل من الطائرة ، اما رأيتِه كيف سجد وقبّل الأرض ؟

هالة

– كان ذلك اروع درس تلقيتُه في حب الوطن !

جميل (متمثلا وهوينشد)

– « لايعرف الشوقَ الا مَن يكابده ....

هالة (متممة باللهجة نفسها)

– ولا الصبابة الا مَن يعانيها ! »

أم هالة

– حينما رأيناه يُقبل التراب ... دمعت عيوننا !

هالة

– حتى السُياح الأجانب ، القادمون معه في الطائرة ، ترقرقت الدموع في عيونهم !

جميل

– بالطبع ! هذا مشهد غير عادي ، مشهد مؤثر على كل حال !

أم هالة

– وارتفع هُتاف الناس ، وتصفيقهم الحار !

جميل (متمثلا)

– « وطني لو شُغلتُ بالخُلد عنه ،

نازعتني اليه ، في الخلد ، نفسي ! »

(ثم بعد فترة) و ..... هو كيف هو ؟

هالة

(تنصرف الى البيانو ، وهي تدندن بتتمة النغم الذي توقفت عن عزفه ، من قبل)

أم هالة

ـ شاب متوسط ... يعني ليس كبيراً في السن !

جميل

ـ من جيل المرحوم زوجك ؟

هالة

ـ من جيل بابا ؟ زدتها ياجميل ؟! انسيتَ الحساب بهذه السرعة ؟

جميل

ـ انا عرفتُ اباك مهندساً في الشركة، يوم كنتُ كاتباً في دائرة المحاسبة !

هالة

ـ حينما تُوفي ابي ... كان عمري ثلاث سنوات !

أم هالة

ـ ياحسرتي عليه ... ! قتله الغادرون وهو لم يُكمل الخامسة والعشرين من عمره !

جميل

ـ عفواً ... لم أُرد اثارة احزانك ! اردتُ ان اقول ... لم أُرد ان اقول ...

هالة

— (مقاطعة بعصبية) اردتَ ام لم تُرد... سواء عندي وعند ماما ! حزننا على الغائب الحبيب لا ينقضي الا بانقضاء الحياة !

أم هالة

— (بتأثر) بل هيهات ان ينقضي ... مع هذه الحياة !

(جرس الهاتف يرن ، فتسارع هالة الى تناول الساعة)

هالة

— ألو .. نعم ! هل سجّل اسمه في سجل التشريفات ؟ نحن بانتظاره مساء ... انتِ مدعوّة ، بالطبع يا دنيا... البيت بيتك يا عزيزتي ! إدعي من تشائين الى العشاء، والى السهرة ... ! قولي لي هل رأيتِه عن قرب ؟ هل له شاربان ام هو حليق ؟

جميل

— (يتفقد شاربيه ، ثم لنفسه) اهتمام بالغ ... حتى بالتفاصيل !

هالة

— (متابعة في الهاتف) كنتُ بعيدة ... لم اصافحه لان رفاقه استعجلوه ، وتحلّقوا حوله ... هل رأيتِ سيارته الفخمة ، يا عيني ما احلاها !

جميل

– (يتمشى وكأنه يشير الى انساقيه هما وسيلته الوحيدة للانتقال ، ثم يقول) :

– الحمدلله الذي لا يُحمد على مكروه سواه !

أم هالة

– (تتضاحك وهي تقترب من الهاتف) مَن يا هالة ؟

هالة

– (تسد بيد طرف السماعة) دنيا تموز ... رفيقتي في الجامعة ! انها تحدثني عن فستانها الجديد .. !

أم هالة

– ارجوك ! اعزمي على أمها وعلى اخيها ... الأرامل كثيرات العتب والغيرة !

هالة

– (الى الهاتف) اسمعي يا دنيا ... سنرى ثوبك الجديد هذا المساء ! ماما تؤكد دعوتها لأمك ! ولأخيك طبعاً ... لا تنسي ! باي باي .. الى اللقاء !

المشهد الثالث

●

جميل

— (يقترب من هالة ، ثم متهكماً) حتى الجامعيات ... لا يتحدثن الا عن الأزياء والأثواب ؟

هالة

— (متهكمة) والجامعيون...هل لهم حديث غير الحب... واغراء الفتيات ؟

أم هالة

— (وهي ترتب بعض المقاعد ثم تنصرف) الآن صار بامكاني.. ان اعود الى المطبخ !

المشهد الرابع

●

جميل

— في عهدنا كانت الجامعة ... أعلى مستوى ، لأن اساتذتها

كانوا علماء منتجين، وادباء موهوبين ، ومفكرين احراراً !

هالة

ـ اما في عهدنا ... فالجامعة صارت تساوي غيرها من المؤسسات التجارية ... ! واساتذتها مثل سائر المعلمين .. لا رسالة ولا إنتاج !

جميل

ـ وهل التجارة عمل خسيس ؟

هالة

ـ انا لم اقل هذا !

جميل

ـ انك تصفين كل عمل لايُعجبك... ماذا اقول؟ كل شيء وضيع او منحط ، بصفة التجاري! التجارة من انبل الأعمال يا هالة !

هالة

ـ اذا لم تكن من انبل الأعمال ، فهي عمل نبيل على كل حال ! للتاجر رسالة كرسالة العالم او الأديب او الفنان !

جميل

ـ (بانفعال) إنني أتألم كلما سمعتُك تتحدثين بهذه اللهجة

عن مهنتي .. ولا سيما اننا نعيش في بلد تجاري من الطراز الاول !

هالة

– (ببرود وتهكم) ومتي صرتَ تاجراً يا « خواجا » جميل « بك » ؟

جميل

– انني محاسب في شركة تجارية ... صحيح ! ولكني ساصبح تاجراً مستقلا في اعمالي ... متى ...

هالة

– متى ؟

جميل

– (ماكراً) متى ... ؟ انتِ تعلمين ... متى !

هالة

– انا لا اعلم شيئاً !

جميل

– هل غيرّتِ رأيك ؟

هالة

– اي رأي ؟ انا لم اقل لك إنني أحبك !

جميل

– ولكن الذي بيننا ...

هالة

– وماذا بيننا ؟ انتَ عندي رفيق يساوي سواه من الرفاق !

جميل

– أليس لي شيء خاص ... من دونهم ؟

هالة

– انت تعني انني .. أطمئن اليك ، فأرافقك الى السينما مثلا ؟

جميل

– لالا ! هذا شيء بسيط !

هالة

– وأرافقك الى شاطئ البحر !

جميل

– لالا ! وهذا شيء بسيط ايضاً !

هالة

– وادعوك بأسمك ... دون تكلُّف !

جميل

– وهل ادعوك أنا بغير اسمك ... يا هالة ؟

هالة

ـ اذن ، ماذا تقصد بالشيء الخاص ؟

جميل

ـ (يصمت حالماً ...) . . . ، .

هالة

ـ (منفعلة) احك ، لماذا تهرب من الجواب ؟ (ثم بعد صمت) هاها . . . تذكرت ! انتَ تعني انك ساعدتني في اعداد أطروحتي !

جميل

ـ (ضاحكاً بسخرية) وكيف تُعلنين هذا ... السر الخطير ؟

هالة

ـ (اشد انفعالا) خطير أو غير خطير ... ساعدتَني كما يساعد غيرُك غيري ! هل تظن ان واحداً من الطلاب او الطالبات يُعدُّ اطروحته بنفسه . . . دون مساعدة الغير ؟

جميل

ـ على كل حال ... اذا ساعد الطالبَ او الطالبة شخصٌ او اكثر ... في اعداد الأطروحة ، فذلك خير من ان تُكتب لهما تلك الأطروحة بكاملها ...

هالة

ـكما يفعلون في بعض العواصم الغربية!.

جميل

ـ وأطروحتك ... ألم تقولي لي إنك ستقدمينها إليّ ... ؟

هالة

ـ (بهدوء) معلوم ... متي طبعتُها ! فانتَ مؤلف اكبر جزء منها !

جميل

ـ هذا تواضع منك ايتها ... الجامعية اللامعة !

هالة

ـ (بسخرية) أليس التواضع من صفات العلماء ... والعالمات ؟

جميل

ـ ولماذا لا تتواضعين ... في غير العلم ؟

هالة

ـ (متضاحكة) مثلا !

جميل

ـ ألم تعديني مراراً ... باعطائي جواباً عن طلبي ؟

هالة

– ايّ طلب ! طلباتك كثيرة ... لاتنتهي !

جميل

– الطلب الأهمّ !

هالة

– (تفكر ... طويلا ثم تقول وهي تعد على اصابعها) اسمع : طلبتَ مني منذ يومين ... قبلة ! وأمس ...

جميل

– عفواً ! لم اطلب منك قبلة ... بل اخذتُها !

هالة

– اخذتَها ... طيب ! ولكنني لم أبادلك اياها !

جميل

– وما الفرق ؟

هالة

– الفرق كبير !

جميل

– عندي ... كلاهما واحد : القبلة المغتَصبة والقبلة الممنوحة !

هالة

– لقد سبق ان اغتصبتَ قبلة مماثلة : هل تذكر ؟

جميل

– وكيف أنسى ؟ كان ذلك في بداية تعارفنا !

هالة

– كنا نستمع الى محاضرة ألقتها احدى الجامعيات ... العانسات !

جميل

– وأوصلتُك بسيارتي الى منزلكِ هذا ...

هالة

– تريد ان تقول ... دُرتَ بي طويلا حول منزلنا هذا ... كسباً للوقت !

جميل

– ثم توقفتُ عند شاطئ البحر ... بطلب منك !

هالة

– ربما ... وانما كان قصدي بريئاً ... كنتُ أريد ان استمتع بأضواء المدينة ...

جميل

– وبنسيم البحر !

هالة

– وبلذة ... السكون !

جميل

– وحينئذ رأيتكِ اجمل ما تكون الانثى !

هالة

– فقبلتَني ...

جميل

– وصفعتِني !

هالة

– هل اوجعتُك ؟

جميل

– كلا ... بالعكس ، وجدتُ للصفعة لذة تساوي لذة القبلة !

هالة

– اذا لم تكن اشد !

جميل

– معكِ حق ! فصفعتك كانت من صميم قلبك ... !

هالة

– ولكني لم احقد عليك ! وان كنتَ قد اسأتَ الي !

جميل

ـ اية اساءة في تقبيل فتاة جميلة مثلك ، كانت مختلية ليلا في سيارة مع شاب مثلي ! ؟

هالة

ـ ولماذا لاتصف نفسك كما وصفتَني !

جميل

ـ اسمي « جميل » فهل ترينني جميلا ... حقاً ؟

هالة

ـ ربما كنتَ اجمل لو انك أجرأ !

جميل

ـ هذا ما سمعتُه منذ نشأت من كل امرأة !

هالة

ـ الجرأة في الرجل ... هي رأس ماله في الحياة !

جميل

ـ والحياء في المرأة هو رأس مالها في الحب !

هالة

ـ ولماذا لاتقول : في الحياة ... ايضاً !

جميل

ـ الحب للمرأة هو الحياة !

هالة

– والرجل ... هل يبقى معنى لحياته من دون حب ؟

جميل

– واذن ... فلماذا تنسَين طلبي الأهم ؟

هالة

– ها ، الآن ذكرت ... طلبتَ ايضاً يدي ! (ثم بسخرية) خذها !

جميل

– (يمسك بيدها ثم يقبلها) على طول ... على طول الحياة؟

هالة

– (بتأثر) ليت لي حرية الأختيار ؟

جميل

– ومن يسلبكِ هذا الحق الطبيعي ؟

هالة

– انتَ أعرف ... امي ! وهل عندي سواها ؟

جميل

– امك ... صحيح ! انها تطمع في صهر ... يحمل اليها المال الكثير !

هالة

– والمجوهرات والسيارات ... !

جميل

– (بأسف بالغ) ولاسيما بعد ان صار التفاخر بالاموال وحدها ... هو سبيل الشرف !

المشهد الخامس

●

(هالة تسير ببطء نحو الراديو... وتفتحه)

هالة

– سبيل الترف ... اردتَ ان تقول! ان الشرف والترف لايجتمعان تحت سقف واحد !

جميل

– (متردداً) قد يكون هذا الحكم قاسياً : : : ولكن الترف هوطريق الانحلال ، على كل حال .

المذيع (في الراديو)

– سيداتي سادتي ! نتلو عليكم موجز الانباء المحلية

الواردة الينا حتى هذه الساعة الحادية عشرة ، من يوم الأربعاء في الخامس عشر من شهر حزيران :

– انتهاء الاستعدادات لافتتاح الحدائق العامة التي انشئت حديثاً – اصطدام خمس سيارات تقلُّ سياحاً على طريق بعلبك !

هالة

– (جازعة) يا آلهي !

جميل

– (بلهفة) ما بكِ ؟

المذيع

– (متابعاً) نقلُ المصابين الى المستشفى العام في العاصمة. جميع الجراح كانت سليمة باستثناء واحد لم يقرر الاطباء مصيره حتى الآن !

هالة

– (تصرخ متألمة ثم تقع متهالكة على احد المقاعد) يا آلهي ؟ . . يا آلهي !

المشهد السادس

●

(تركض ام هالة على صراخ ابنتها)

أم هالة

– أرعبتِني يا ابنتي ... ماذا جرى ؟

جميل

– (مشيراً الى الراديو) محطة الأذاعة !

أم هالة

– ماذا تقول : هل سقطت الحكومة ام ارتفع ثمن الخبز ؟

جميل

– اصطدام السيارات !

أم هالة

– اي شيء جديد ... هذا يقع كل يوم !

جميل

– سيارات السياح ...

أم هالة

– (بجزع)اين ؟

جميل

– (ببرود) على طريق بعلبك !

أم هالة

– (تحاول اخفاء ما بها ثم الى ابنتها) سلامة قلبه ! انه في القصر . . . يسجل اسمه في سجل التشريفات !

هالة

– (وكأنها قد سري عنها) الحمد لله !

جميل

– (مغيظاً) واذا كان ... مع السياح !

أم هالة

– بعيد الشر ... عنه ! (ثم بعد لحظة) وعن كل الشبان يا ابني ! الله لا يؤذي شاباً في صحته !

جميل

– (مشيراً الى هالة) ولا شابة ... في قلبها !

هالة

– (مرائية) انني ارثي لكل بائس من بني الانسان ! الجرحى المساكين جميعهم من بني الأنسان !

جميل

– صحيح ! ولكن ... ابنٌ واحد يكون لنـــا خيرٌ من آلاف الأبناء الذين ... ليسوا لنا ! أليس كذلك ؟

هالة

– الانسان « اناني » فماذا تريد ؟

المذيع

– (في الراديو) نعتذر اليكم ، ايها السيدات والسادة ، عن انقطاعنا عن البث بسبب انقطاع التيار الكهربائي !

واليكم الآن تفصيل الأنباء : سيشرف فخامة رئيس الجمهورية بحضوره حفلة تدشين الحدائق العامة . وربما صحبه دولة رئيس الوزراء، وذلك في تمام الساعة الخامسة من مثل هذا اليوم ، في .. الشهر المقبل ...

جميل

– (بتهكم) ما الفائدة من اذاعة هذا النبأ ... قبل شهر كامل ؟

المذيع

–(متابعاً)اما حادث الاصطدام ، فقد تبين ان المسؤول عنه هو تسابق السواقين ، بسبب الوصول قبل ثانية واحدة..

جميل

– (باللهجة ذاتها) اذن ... ليس هناك مسؤول !

المذيع

– اما الجرحى ....

هالة

– (تصرخ جازعة) يا آلهي ... انه منهم دون شك !

أم هالة

– (تصرخ كأبنتها) يارب ! كذّب ظن ابنتي !

جميل

– (بتهكم) آمين يا رب استجِب !

هالة

– (غاضبـة) وانتَ ايضاً ... يا جميل ؟

جميل

– لست بروتوس ... كي تخاطبيني بهذه اللهجة ! انني اسأل الله ان يكذب ظنك ... ويحفظه !

أم هالة

– (متعجبة) وماذا . . . تعرف انت من ش[illegible] ! [illegible] ؟

جميل وهالة معاً

– لاشيُ ... لاشيُ !

المذيع

– (مستأنفاً) عفواً ... فقد طرأ عطل على الاجهزة المرسلة سبّب هذا التوقف الاضطراري : اما الجرحى فقد صدر بلاغ رسمي ينفي وجودهم !

أم هالة

– الحمد لله ! (ثم الى جميل) رفعُ الكلفة هذا بينك وبينها .... قل لي ، ما معناه ؟

جميل

– (توقف الراديو ثم الى هالة) صحيح ما معناه ؟

هالة

– (الى جميل) احك ... احكِ بصراحة ! لماذا تخرس بحضور امي ، وينطلق لسانك في غيابها ؟

أم هالة

– (بتعجب متزايد) وبعد ... الى أين ؟

جميل

– (بتأفف) عفواً يا سيدتي ! ظننت ان هالة اطلعتك على كل شيء !

أم هالة

– (بتعجب بالغ ومقطعة الكلام) كل شيء ؟

جميل

— (ببراءة) اعني ... على نيتي !

أم هالة

— اي نية ؟

جميل

— الزواج ...

أم هالة

— (بنشوة) مني ؟ تتزوجني انا ؟

هالة

— (ضاحكة) ... لا لا ياماما ، يريد ان يتزوجني انا !

أم هالة

— (تتهالك على المقعد) ويلك يا ابني ... أأنت مجنون ؟

جميل

— (بتعجب غير مصطنع) كيف مجنون ؟

أم هالة

— أنت محاسب في شركة التأمين ... اليس كذلك ؟

جميل

— نعم !

أم هالة

ـ ونحن نستقبلك على انك كنتَ ... كاتباً عند المرحوم !

جميل

ـ الأصح ... في الشركة التي كان المرحوم موظفاً مثلي فيها !

أم هالة

ـ فهل حسبتَ الأموال التي انفقتها انا على ابنتي ، حتى تخرّجت من الجامعة ...

جميل

ـ طيب ، وبعد ذلك ؟

أم هالة

ـ هل تعرف انني بعتُ كل ما املك ، وجميع ما خلف المرحوم .. حتى حصلت هالة على هذه الشهادة ؟

جميل

ـ طيب ، وبعد ذلك ؟

أم هالة

ـ(بسخرية) وبعد ذلك...اريد ان استردّ تلك الأموال ، أفهمت ؟

هالة

— (بعد صمت ثقيل يسود) واكثر من ذلك، تريد ماما ان تجمع ثروة جديدة ... !

جميل

— (الى هالة بسخرية) على ان تكوني انتِ الضحية !

أم هالة

— لا ضحية ... ولا بلّوط ! انت اذا زرعت شجرة تفاح، كان همك ان تقطف ثمرها ... فكيف لااقطف انا ثمرات هذه «الشجرة» ؟

جميل

— (متهكماً) ... من الجمال !

أم هالة

— (متحدية) ومن العلم !

جميل

— ومعنى هذا انك تريدين لابنتك « زوجاً » من ذهب، لا انساناً يُسعدها !

هالة

— من ذهب أو من ورِق ... لافرق ! المهم ان يكون ... غنياً ! فالغنى هو السعادة !

هالة

– تريد ماما ان تقبر الفقر الى الأبد !

جميل

– أرى انها تطلب اكثر من ذلك ... !

أم هالة

– نعم ... اكثر من ذلك يا سيدي ! اريد ان اصبح صاحبة السمو ... أمّ المليونيرة !

هالة

– (الى جميل) أرايتَ ؟ اما انا فلا فرق عندي بين زوج وزوج !

جميل

– (بحنق) كيف تقولين هذا ... وانت الفتاة الجامعية ؟ هل يتساوى الناس في تربيتهم واخلاقهم ؟ هل يتساوون في معادنهم ، حتى يتساوى عندك ... الأزواج ؟

هالة

– ولماذا تتساوى النساء عند الرجال ... ؟ لقد نلنا حقوقنا ، وتحققت لنا المساواة بكم ...

جميل

– (بزهو وجد) النساء لا يتساوين عند الرجال . . . عند

جميع الرجال . فهناك المرأة الام ، وهناك المرأة الغانية .. وما بينهما مراتب ودرجات يعرفها... الرجال «الرجال» !

أم هالة

— (وقد عادت الى سابق هدوئها) اذن انت تقدّر المرأة بحسب كفاياتها الشخصية ... بحسب اخلاقها الأصيلة !

جميل

— تماماً ... بل من الكفايات عندي ذلك الخُلق الأصيل بالذات !

هالة

— واذا رأيتَ غداً امراة أحلى ... من زوجتك ، الا . . ؟

جميل

— انتِ واهمة يا هالة ! ليس كل الرجال على ما تتصورين .. انك دون شك موّجهة توجيهاً خاطئاً ... في هذه الناحية !

هالة

— وانتَ ياجميل ألستَ واهماً ... بعض الوهم في هذه الناحية ؟

جميل

— لستُ واهماً ابداً ... وانما أعجب كل العجب من لجوء

الفتاة المثقفة ... ماذا اقول ؟ الفتاة الجامعية مثلا . الى وسائل التـبرج والاغراء نفسها التي تلجأ اليها الفتاة .. الاخرى !

هالة

– ألا يحق للفتاة الجامعية ان تتزين في رأيك !

جميل

– لها ان تتزين بالطبع ! ... ولكن في حدود ما تُبيحه ثقافتها ... وخُلقها !

هالة

– الثقافة عندك هي الزينة . هي الجمال ، كما قلتَ لي مراراً !

جميل

– بلى ! هي الزينة التي لا تبلى . والجمال الذي لا يذبل !

هالة

– (موافقـة) اذا صارت الثقافة هي مخطّط السلوك !

جميل

– بالطبع ! ... اما الثقافة السطحية فكالطِلاء ... يزول عند اول حكّ او احتكاك !

المشهد السابع

●

[تتعالى في الشارع – خارج المسرح اصوات باعة الصحف]

بياع أول

– تدهور السيارات بالسياح .. واصابة العشرات بجراح !

بياع ثانٍ

– على طريق بعلبك عشرات الجرحى ... والقتلى !

بياع ثالث

– وفاة خمس ضحايا ... من السياح !

بياع رابع

– حوادث ، اخبار ، معارك ....

(يستمر لغط الباعة ... و تبدو على وجوه الام والبنت و الفتى جميع الانطباعات – ثم تسدل الستارة رويداًرويداً والاشخاص يتحدثون)

هالة

– ياآلهي ! ما هذه المصيبة التي نزلت بنا ؟

أم هالة

– يارب تجيرنا من كل شر !

جميل

– لاتجزعي يا هالة ... اكثر صحف اليوم مثل الشعراء القدامى ، يكذبون ثم يصدّقون اكاذيبهم ... !

هالة

– والاخبار الصادقة ... !

أم هالة

– تنفيها الحكومة عادة ... ببلاغات رسمية !

الستارة !

الفصل الثاني

المشهد الأول

●

[في قاعة الاستقبال في المستشفى]

فايز

– (للطبيب) ارجو ان يكون ... الجميع بخير !

الطبيب

– بعض الإصابات ... خَطِرة !

فايز

– على كل حال... الأفضل ان لاتصرّح بهذه الحقيقة... الى الصحف يا دكتور !

الطبيب

– طبعاً ... طبعاً! انا قلتها لحضرتك لانك لست صحفياً !

فايز

– الحمدلله ... تخلصتُ من هذه المهنة الشاقة ... التي تسودها الفوضى... والغوغائية الفردية !

الطبيب

– وما قولك اذا اصدرنا بياناً ... يكذّب ما ذكرته الصحف عن الحادث !

فايز

– هذا شغل الحكومة ... وان كانت ادراة السياحة والاصطياف تتمتع بالاستقلال الذاتي !

الطبيب

– من رأيي ان ننقل الجرحى العاديين الىمستشفى بعيد، في الجنوب مثلا .

فايز

– وهل في الجنوب ... مستشفى يستحق هذا الاسم ؟

الطبيب

– (متابعاً) اما الآخرون...فننقلهم الى مستشفى الشمال ، حيث لايستطيع الصحفيون الوصول .

فايز

– ويكونون جاهزين ... للتشريح !

الطبيب

– هذا احتمال ... وهناك احتمال آخر اقرب الىالتفاؤل...

فايز

– بالطبع ... انني معك في تفاؤلك يادكتور ... وأسأل الله ان يعافيهم كي لا تكون الخسارة بهم مزدوجة !

الطبيب

– ولاسيما اننا على ابواب فصل الصيف !

فايز

– بل نحن في ابان سنة السياحة والاصطياف .

الطبيب

– على ذكر سنة السياحة ... قل لي، كم بلغ عدد القادمين ؛

فايز

– حتى الآن ... مئة وخمسة عشر الفاً ، اكثرهم من المغتربين ! امّا اذا صدقنا ما يقوله بعض الصحف فان عددهم عشرة ملايين !

الطبيب

– بارك الله في هؤلاء الأبناء الأعزاء انهم كنز ان غابوا ، وكنوز اذا حضروا !

فايز

– بل هم خير شطر من شطري . . . !

الطبيب

ـ الغربة صقلتهم ... جعلتهم رجالا !

فايز

ـ ولمَ لا تقول: إنها أبرزتهم على حقيقتهم؟ الفرد في بلادنا إنسان ممتاز ، بملكاته واستعداداته !

الطبيب

ـ الحق معك ! نحن من أمة عريقة ... والفرد عندنا أنموذج لما ينبغي ان يكون عليه المجموع !

فايز

ـ (متـابعاً) ولكن الشجرة لا يكتمل نموُّها في مشتل ... نحن نعيش في مشتل، شأن الشعوب العربية الأخرى !

الطبيب

ـ بل في قفص ... وإن نعمنا بجميع الحريات !

فايز

ـ المهاجر.. لنا اليوم كما كان البحر لأسلافنا الفينيقيين .. مسرح ذلك النشاط المكبّل ، المكبوت ! وليس من أمل في حياة أفضل لشعو بنا الا باتحاد ... يكتّلها ، ويتيح لقواها أن تتبلور ، وتفعل فعلها السابق في الحضارة !

الطبيب

— (معجباً) قل لي يا سيد فايز ... أين درستَ ؟

فايز

— في « السوربون » ... وقد أنفقتُ آخر فلس موروث ، في سبيل الحصول على ... الدكتوراه !

الطبيب

— هل تخصّصتَ في السياحة والاصطياف ؟

فايز

— لا ! تخصصتُ في علم الأحياء... في البيولوجيا. ولكنني لم اجد لا مختبراً أعمل فيه ، ولا ورثت مالاً يكفي لأنشاء مختبر !

المشهد الثاني

●

(تدخل ممرضة و تسر في اذن الطبيب كلمة)

الطبيب

— (متابعاً بتعجب وتهكم ، الى فايز) لذلك عدتَ... فعملتَ موظفاً ... من الدرجة العاشرة ؟

(ثم بارتباك وسرعة) حبذا لو نتبادل : يغترب المقيمون ، ويعود المغتربون ! فتتحقق المعجزة ... معجزة

الاصلاح !

فايز

– بل معجزة النهضة !

الطبيب

– (الى الممرضة) إنني قادم حالا ...

– (ثم الى فايز) ارجو المعذرة قليلا !

(يخرج الطبيب وراء الممرضة)

المشهد الثالث

•

فايز

– (لنفسه) هذه فكرة عظيمة: فالاغتراب يُصلح المقيمين، أي يُبرز حقيقتهم. وعودة المغتربين... تُبرز حقيقة البلاد، بما يستغلونه من إمكاناتها، ويستنبشونه من ثرواتها ...! لقد تعوّدوا حياة الجد والعمل، وألفوا النظام، وتشبّعوا بروح الانتظام، وإطاعة القوانين ... في مواطنهم الجديدة. فلا خوف من نكسة تصيبهم إذا عادوا إلى ربوع الوطن ! وهم ... فوق ذلك كله عاشوا أحراراً، لم يستذلّهم مستعمر، ولا كيّف عقولهم منتدَب ! والحرية ضمانة تفوق الضمانات الأخرى ...

المشهد الرابع

●

(يدخل المحقق الاداري... مصحوباً بشرطيين)

فايز

– أهلا بسيدنا المحقق الأداري العام ! الحادث كله قضاء وقدر ، أليس كذلك ؟

المحقق

– كيف تقول قضاء وقدر... والسرعة التي سبّبت الحادث ، أليس هناك مسؤول عنها ؟

فايز

– إدارتنا تفضّل... مسؤولية القضاء والقدر على مسؤولية السواقين !

المحقق

– أما أنا ... فأبحث عن المسؤول قضاء ، وأترك القدر يعمل ... بسلام !

فايز

– لا يخفى عليك يا سيدي المحقق الأداري العام أن الأنتخابات النيابية على الأبواب !

المحقق

– وما دَخل التحقيق الأداري في هذا الموضوع ؟

فايز

– إغضاب السواقين ... وهم مَن تعرف في ميزان الأنتخابات ! عشرون الفاً ... متضامنون، متّحدون !

المحقق

– أفهم وجهة نظر الساسة ... ولكن للأدارة استقلالها وحرمتها ! وأخشى فوق ذلك ان يصيبنا ما أصاب الرومان والعرب !

فايز

– (متجاهلا بخبث) وماذا أصابهم يا سيدي ؟

المحقق

– طغى الأجَراء من الجنود على الجيش الروماني ... كما طغى الخَدم المستأجرَون على الدولة العباسية ...

فايز

– (متمماً) فضاع الجيش الروماني العظيم !

المحقق

– وانهارت الدولة العباسية الناهضة !

المشهد الخامس

●

فايز

— (الى الطبيب وقد عاد) هل من خطر على حياة أحد. يا دكتور ؟

الطبيب

— (الى المحقق) ليس لدي شيء جديد أضيفه الى ما بيّنتُهُ لك صباحاً... سوى ان المصاب المجهول الهُويّة ... قد بدأ يتنفّس ! ثم تمتم بألفاظ مبهمة ، فهمنا منها قوله : « ابنة عمي » ... ولكنه لم يستعد وعيه حتّى الآن !

المحقق

— هل ذكر اسمها ... اسم ابنة عمه ؟

الطبيب

— انه يردد اسماً غريباً ... قريباً من « آلة » ... إذا عزّ بنـا رطانته !

فايز

— (متهكماً) لعله يريد ان يقول « الله » !

المحقق

— (بسذاجة) وهل تعرف فتاة ... بهذا الاسم ؟

فايز

ـ قد يكون اسمها ... « هالة » !

الطبيب

ـ أنا لا أعرف فتاة بهذا الاسم ... ولا بذاك !

المحقق

ـ ألم يقل الجريح غير ذلك ... الكلام ؟

الطبيب

ـ إنه لم يزل غائباً عن الوعي، كما قلتُ لك ... لكنه يردّد هذا الأسم ... آلة ... هالة ، اذا شئت، اوشيئاً قريباً منه !

فايز

ـ (متابعاً تهكمه) لعله يصلي ... الصلاة تحلو في بلاد الروح لمن يعبدون المادة ... والاصنام !

المحقق

ـ (متبرماً) هل بالأمكان مشاهدة الجريح ؟

الطبيب

ـ مِن كل بدّ ... تفضل !

(يخرج الطبيب والمحقق)

المشهد السادس

●

(تدخل ادما الممرضة مسرعة جازعة ومعها ميزان الحرارة ...
واللوحة البيانية لاحد المرضى)

فايز

– ما بالكِ ... ماذا جرى ؟

ادما

– اين الدكتور ؟ هذا شيءٌ لا يُطاق ؟

فايز

– ماذا ؟ ماذا حدث ؟

ادما

– انه يأبى ان يضع ميزان الحرارة في ....

فايز

– ليضعه في فمه !

ادما

– فمه مضمَّد ... بعد العملية الجراحية التي أُجريت له امس !

فايز

– هل تلزمك مساعدة أخرى ؟ ... إنني مستعدّ !

ادما

– (وهي خارجة تبحث عن الطبيب وتبتسم باغراء) لا شكراً ... !

المشهد السابع

●

(التلفون يرن . فايز يمسك بالسماعة)

فايز

– ألو ... نعم ... مَن؟ آه! صباح الخير معالي الوزير ! المحقق موجود في الغرفة المجاورة ... بلّغته امرك يا معالي الوزير ... سأعيده على مسامعه حالا ! هل تأمر بشيء آخر ؟ أمرك يامولاي ، أمرك يامولاي !

فايز

– (لنفسه) مشكلة ... مشكلة كبيرة ... تحقيق العدالة إذا أصرّت السياسة على التدخل في كل شيء ! أنا أفهم ان يتدخل الساسة لمساعدة أنصارهم ، أولترويج أحزابهم، ونصرة القضايا التي يعتنقونها ... اما التدخل لحماية المجرمين ، ورعاية الأشقياء والفاسدين ... فكيف يجوز أن يتجنّد له رجل يحترم نفسه ، ويؤمن بوطنه ، وبأنه يعيش في دولة !

المشهد الثامن

●

(تعود ادما الممرضة وهي تضج بالاغراء)

فايز

– أهلا وسهلا مرة ثانية ... إنني دائماً مستعدّ ؟

ادما

– (تتضاحك بغنج) وإذا كنتُ أنا غير مستعدة ؟

فايز

– (وهويقترب من الممرضة)لابدّ ان نتفاهم على ... شيء !

ادما

– (باغراء) وإذا لم نتفاهم !

فايز

– (وهويكاد يلتصق بها) هل أنتِ حرة بعد ظهر اليوم ؟

ادما

– ألم أقل لك إننا ... لن نتفاهم !

فايز

– سنرى ... بعد الظهر ، في دار السينما ! ستحضرين

ادما

– وإذا لم أحضر ... ؟

فايز

– ستحضرين ... من كل بدّ !

ادما

– أأنتَ واثق من نفسك الى هذا الحد ؟

فايز

– إنني رجل !

ادما

– ولكنك ... مغرور ، كسائر الرجال !

فايز

– هل عرفتِ الكثيرين منهم ؟

ادما

– أبي ... وأخي ! !

فايز

– مَن أبوك ؟

ادما

– كان عليك ان تسأل هذا السؤال أولا !

فايز

– ولماذا لا نجتمع ونتفاهم ، ثم ... أتعرف الى أبيك

وأخيك ، وجميع ذويك ؟

ادما

— (ضاحكة) تعوّدتُ انيعيّن لي أبي...مثل هذه المواعيد!

فايز

— مثل فتاة نابليون ... طريق الزواج هو طريق غرفتها الخاصة !

ادما

— تماماً ... فأنا فتاة شرقية ... لاتنسَ ! ومن لبنان !

فايز

— ولكنكِ ستحضرين ... الى السينما ... على كل حال !

ادما

— (بجد ودلال) انت تتجاوز حدود الغرور الى صعيد الوقاحة !

فايز

— (والتليفون يرن بالحاح فيتجه صوبه) سمّيه ما شئت .. غرور أو وقاحة ... انتِ حلوة ... وقد أعجبتِني !

(ثم للتليفون) حالا ... سأحضر ...فوراً .

(والى الممرضة وهو يخطف قبلة من عنقها ثم يخرج)

الساعة الثالثة ... لاتنسَي ... عند باب السينما في ساحة الشهداء !

المشهد التاسع

●

ادما

– (وحدها) شبان هذا الزمان ... ظراف ، ولكنهم خفاف... الموازين ! في الجامعة ، وفي الوظيفة ، في المكتب ، وفي العيادة والمستشفى ... ، مساكين ! لم تعدّهم بيوتهم للحياة ، ولاهيأتهم المدرسة للجهاد. يحسبون حتى الحب لهواً... ولعباً ! ولايستشعرون اية مسؤولية ، كأنهم اطفال!.. انهم يهزلون ويلهون في كل شيءٍ ، والحياة جهاد وجدّ في كل شيءٍ !

(تقول هذا ، وهي ترتب المقاعد – وتصلح من شأن الزهور في آنيتها – وتفتح النوافذ لتهوية المكان .)

يرن جرس التلفون

– آلو ... نعم ... هنا المستشفى العام ... مَن ؟ سعيد بك الابراهيم! لا أعرف احداً بهذا الاسم !

الصوت

— (من خلال آلة التليفون) كان ذاهباً الى بعلبك مع السياح !

ادما

— لم أرَه حتى الآن !

الصوت

— (في التليفون) إنه شاب طويل القامة ، يضع نظارتين من ذهب ... ويلبس بدلة رمادية !

ادما

— صدقيني ، لم أرَه حتى الآن ! مَن حضرتك حتى أخبره ... إذا جاء ؟

الصوت

— (في التليفون) هالة ... ورقم التلفون في منزلنا هو ٢٥٣١٤ !

ادما

— تكرمي يا سيدتي ... عفواً يا آنستي ! تكرمي ... مع السلامة !

ادما

— (وحدها) كل واحدة مشغولة بواحد ... !

المشهد العاشر

●

(يدخل الطبيب)

الطبيب

ـ أنتِ هنا ... وأنا أبحث عنكِ في كل مكان ؟

ادما

ـ سمعتُ جرس الهاتف ... فتاة تدعى « هالة » ...

الطبيب

ـ (باهتمام) ماذا تُدعى ...ردّدي الاسم !

ادما

ـ هالة ... هالة ... ورقم التلفون في منزلها هو ٢٣٥١٤ !

الطبيب

ـ كم ؟

ادما

ـ ٢٤٥١٣ ... إذا لم تخنّي الذاكرة !

الطبيب

ـ فكّري جيداً ... كم رقمه ؟ ٢٣٥١٤ أم ٢٤٥١٣ ؟

ادما

ـ غالباً ٢٣٤١٥ ... لا لا ! ٢٣١٤٥ ... اسمع ...

٢٣١٥٤ ؟

الطبيب

– ألستِ واثقة من ... رقم ؟ لماذا لم تسجّلي... العدد ؟

ادما

– عفواً ... كان علي أن أفعل ذلك ، لولا أنك دخلت ، فاذهلتَني عن واجبي !

الطبيب

– (برقة) وهل صرتُ ... مخيفاً الى هذا الحدّ، في نظرك ؟

ادما

– (بحياء) إنك لاتخيفني أبداً يا دكتور ... ولكنني أضطرب حينما أراك !

الطبيب

– (مقترباً من الممرضة وراضياً) وبماذا تفسّرين ... هذا الاضطراب ؟

ادما

– (حذرة) لا أدري !

الطبيب

– ولماذا لم ... تبوحي لي بذلك قبل اليوم ؟

ادما

– ظننتك ... متزوجاً ؟

الطبيب

– (يربت كتف الممرضة) هل تستطيعين المجيء إلى مكتبي .. بعد نصف ساعة ؟

ادما

– (مترددة) سأحاول ... إذا سمحت لي رئيسة الممرضات !

(تنصرف الممرضة ... وهي ترنو الى الطبيب بعينين فاتنتين)

المشهد الحادي عشر

●

الطبيب

– (وحده) لم يخطر ببالي قبل اليوم ان أكون موضع اهتمام من هذه الفتاة ! ولم يُلفت أحد اهتمامي إليها ، فكانت عندي مثل غيرها من الممرضات ... يخيَّل إلي أنها جميلة ! وهي جامعية مثقفة ، وابنة أسرة محترمة !

حقاً إنني غبيّ! تركت السنين تنقضي من عمري سدى ... بين دور اللهو والحانات ! وأجدني الآن ، فوق قمة الحياة ... أرتجف خوفاً من مصيري ، في

المنحدر الثاني !

بعد حبي الأول ... يوم كنت تلميذاً في الكلية ... لم ينفتح قلبي لأنثى ... لقد اندمل الجرح الذي أحدثته فيه تلك الغادرة .. ولكن على دغل. الا ان الله كبير ، انتقم لي منها ... فرأيتها متهدمة عمياء ، وهي لم تبلغ الثلاثين من عمرها ! وتلك نهاية الغدر والفجور ... وبعد ذلك كانت زميلتي ... في كلية الهندسة . أقرب الناس إلى نفسي ! غير أنني أفضل زوجة « أنثى » على زوجة « مهندسة » !

الفتاة مساوية للفتى ... لاشك ولاريب ! ولكن على الفتاة أن تختار ، من فروع الثقافة ، ما يلائم أنوثتها . ودورها الطبيعي في الحياة ! أما هذا السباق للتفاخر بالشهادات والالقاب الجامعية ، فسباق لاطائل تحته ، سوى خسارة الوقت والمال ، وفقدان السعادة ، وغيرها من مقومات الأسرة السليمة !

(ثم بعد فترة صمت وتأمل)

ومثل ذلك ... تسابق الفتيات للعمل خارج المنزل ... في المكاتب الضيقة مثلا ، وفي المتاجر المبتذلة ! ماذا أفادهن غير التبذل في بعض الأحيان . وخسران

مملكتهن .. الواسعة. في أغلب الأحيان ! «المرأة ـ الأم» التي تستأهل هذا الأسم... للبيت. اما تلك التي لا تصلح لحياة الأمومة ... فليست عندي امرأة على كل حال !

(يدق الباب ... فيصحو الطبيب من مناجاته)

الطبيب

ــ ادخلي ... !

المشهد الثاني عشر

(يدخل المحقق ... والشرطيان)

الطبيب

ــ عفواً ... حسبتكَ الممرضة !

المحقق

ــ أيهُن ؟ لا اكتمك أن إحداهن ... التي رأيتها هنا ، هي آية في الجمال والذكاء !

الطبيب

ــ (دون انتباه) شكراً ... (ثم بارتباك) أريد ان أقول : لا أدري ! قد تكون كما تقول .. لأن ذكاء المرأة هو جمالها الذي يدوم ! (ثم برصانة) «تلفنت» فتاة .. تدعى هالة ! ولعلها هي المقصودة بما يتمتم به الجريح المجهول... الهوية !

المحقق

– هذا ما نقلته الي ... تلك الممرضة ! عفواً يا دكتور ! ما اسمها ؟

الطبيب

– (بتململ) أدما ... أدما سكر زيادة !

المحقق

– إنها ... سكرة حقاً ! ألا ترى ؟ أنها حلوة ناعمة !

الطبيب

– (بتهكم رفيع) وغير هذا ، هل من جديد في التحقيق ؟

المحقق

– سنتصل بالفتاة ... هالة ! ولكن رقم التليفون ... لم نضبطه حتى الآن . فأدما ... أعطتني خمسة أعداد مختلفة !

الطبيب

– حاول فربما كانت الأرقام الأولى هي العدد المطلوب !

المحقق

– تعودت أن أتهم ... حتى نفسي !

الطبيب

– وأنا تعودت أن أشرح حتى كلامي ... !

المحقق

ـ إنه داء المهنة ... !

الطبيب

ـ بل طابَع المهنة ... خير للأنسان أن يكون ذا طابع خاص... ذا شخصية مميّزة، من أن يكون لاشخصية له!

المحقق

ـ أو أن يكون مزدوج الشخصية !

الطبيب

ـ حتى الازدواج ... مرة واحدة ، مقبول ! أما أن يكون ازدواجاً مضاعفاً أو لا حدّ له ، فهو ...

المحقق

ـ (متمماً) الداء العضال !

الطبيب

ـ أحسنت ... هذا هو الداء العضال . فبعد استنباط الأدويـة الشافية لم يبق داء جسدي يصح أن ندعوه عضالا ... إلا القليل . إنما هناك الأدواء النفسية التي تستحق هذا النعت المخيف ! ولعل إزدواج اللغة عندنـا ... سبب من أسباب ذلك الداء العضال !

المحقق

– (بخفة) قل لي ، يا دكتور ، ما دمنا نتحدث عن الازدواج ، .. كيف تفسّر لي عزوبة إنسان مثقّف .. إذا لم يكن هناك مانع فيزيولوجي أو... خُلقي ؟

الطبيب

– (بألم) قد يكون هناك سبب نفسي ... عقدة نفسية !

المحقق

– (وقد تأكد من خلو يد الطبيب من خاتم الزواج) عفواً .. ظننتك متزوجاً مثلي !

الطبيب

– لعلّ هذا ... السؤال سيكون فاتحة خير ، أو تفاؤلا با لخير !

المحقق

– تفاءلوا بالخير تجدوه ! صحيح ! ولكنك لم تقل : « إن شاء الله » !

الطبيب

– (ضاحكاً) وهل تؤمن أنت ايضاً.. بالقضاء والقدر ؟

المحقق

– أؤمن أن الاحتمالات ، في كل قضية ، هي أكثر

من أثنين دائماً ... إحتمال الصحو . وإحتمال المطر ... غداً ،هما إحتمالان. فإذا صحا الجو ذهبنا إلى الصيد ، وإذا أمطر ... قعدنا قرب المدفأة . هكذا يقول الزوج لزوجته، وهما في الفراش يستعدان للنوم . ولكن واحداً منهما لا يخطر له ببال إحتمال ثالث ممكن هو الآخر !

الطبيب

– أن يكون الطقس بين بين ؟

المحقق

– كلا ! بل أن ... تدوس سيارة رعناء ساق الزوج ، فيذهب الى المستشفى ، لا إلى الصيد ولا إلى مقربة من المدفأة !

الطبيب

– إذن لنقل : ان شاء الله ! ! أهذا كل ما تريده؟

المحقق

– هذا ما يريده القدر !

الطبيب

– والعلم ... ايضاً !

المحقق

– (تلمع عيناه بالدهاء) أنا ، لولم أكن متزوجاً ... لما

ترددت في اختيار هذه الممرضة ... ما اسمها يا دكتور ؟

الطبيب

— (بتململ ظاهر) أدما ... أدما سكر زيادة . كما قلتُ لك !

المحقق

— (متغزلا) حبذا لو كان اسمها ... حلواً ككنيتها ، بل كجسمها ... كروحها !

الطبيب

— (محاولا تغيير مجرى الحديث) والتحقيق ... يا سيدي ؟

المحقق

— التحقيق ! آه ! صحيح ! لابد من ان نتصل بصاحبة التليفون الذي لم نتثبت من أرقامه بعد ! ... « هالة » أليس كذلك ؟

(ثم الى احد الشرطيين الواقفين عند الباب)

— شكيب افندي ! إذهب الى المركز ... إلى المقسم التليفوني ، وحاول ان تتصل بأصحاب هذه ... التليفونات .

(يسلم الى الشرطي ورقة ...)

الشرطي شكيب افندي

— (وهو يؤدي التحية ويتسلم الورقة) هل أقبض عليهم يا سيدي

المحقق

– على مهلك يا ابني ! التحقيق يجب ان يأخذ مجراه .:. القانوني !

الطبيب

– (بعد ان ينصرف الشرطي) الرجال لا يؤمنون إلا بالقوة ... والعنف !

المحقق

– لعلّ هذا هو مصدر الحروب بين الأمم ، والنزاعات بين الأفراد !

الطبيب

– وهو سبب رئيسي في قِصر الحياة ، حياة الفرد ، إذ تدنيه الانفعالات من القبر ، وحياة الجماعات إذ تذهب الخلافات بجهودهم مع الريح ... !

الشرطي الثاني

– (يحيي المحقق) سيدنا ... في الباب امرأة ومعها فتاة شابة حلوة ... ترغبان في مواجهتك !

المحقق

– قل لها تفضلي !

الشرطي الثاني

– والشابة ؟

الطبيب

– لتدخل معها ... طبعاً !

(يحيي الشرطي الثاني ... ثم يذهب ليعود ويدخل المرأة وابنتها)

المشهد الثالث عشر

●

أم هالة وهالة

– نهاركم سعيد !

المحقق والطبيب

– نهاركم سعيد ... !

ام هالة

– يا حكيم ... أرجوك ... أين هو ؟

الطبيب

– مَن ... يا ست ؟ من ؟

المحقق

– (الى هالة) هل هي مريضة ؟

هالة

– لاياسيدي ، إنما سهر الليل ... وهمُّ المصيبة !

المحقق

– أي مصيبة ! تكلمي ، إحكي يا ست !

ام هالة

– وصل أمس من أمريكا ... واستقبلناه... وكان هذا وجه الضيف !

الطبيب

– مَن تعنين ... ابنك ؟

ام هالة

– ياليت ! (ثم مستدركة) كلا... بعيد الشرّ عنه !

المحقق

– وهل هناك شر إذا كان هو ابنك !

ام هالة

– (متلفتة نحو ابنتها) ابني ياحسرتي عليه ! الكلام بسرك خطيبها خطيب بنتي ، ان شاء الله !

الطبيب

– كيف إن شاء الله ! أما أن يكون خطيبها وإما أن لايكون !

المحقق

– لاتنسَ يا دكتور الاحتمال الثالث .

(يضحك الرجلان)

الطبيب

– الآن فهمت : إنه أحد السياح الذين وصلوا أمس ... !

ام هالة

– (بلهفة) نعم نعم ... يعني أحد المغتربين الذين عادوا أمس ...

هالة

– قيل لنا إنه ... ذهب إلى بعلبك مع السياح !

المحقق

– ما اسمك يا فتاة ؟

هالة

– هالة ...

المحقق

– إذن أنت الفتاة التي .... نبحث عنها !

ام هالة

– (بغضب) تبحث عنها ؟ ولماذا تبحثون عنها ؟ وأي ذنب إقترفت ؟ بنتي فتاة طاهرة كندى الفجر !

المحقق

– (متضاحكاً) نبحث عنها ... لتنوير التحقيق !

هالة

ـ أعطيت رقم التلفون ... إلى هذا المستشفى ، المستشفى العام ، أليس كذلك ؟ وانتظرت فلم يتصل بي أحد !

الطبيب

ـ هل تذكرين .... ذلك الرقم ؟

هالة

ـ نعم : ٢٤٣١٥ !

المحقق

ـ (وهو يسجل الرقم على ظاهر علبة سجايره) هل أنتِ واثقة !

هالة

ـ (مترددة) نعم ... لا ! أسمع .. ٢٣٥١٤ ، ٢٥٤١٣ . .

الطبيب

ـ ويبقى إحتمالان آخران ٢١٣٤٥ و ٢٥٣١٤ !

هالة

ـ الأحتمال الأخير هو الصحيح من دون شك !

(يضحك الجميع ... ضحكة عالية)

المحقق

ـ جميعهن ... نساء !

الطبيب

– غريب هذا التنافر الفطري بين المرأة والأرقام !

المحقق

–إنه شبيه بالتنافر الفطري بين الرجل وتربية الأطفال، مثلا.

هالة

– معك حق يا حضرة ...

المحقق (متمما)

– المحقق الاداري يوسف أبو نبوت !

هالة

– يا... يوسف بك: فنحن وإن تساوينا خَلقاً وخُلقاً، نبقى متميّزين إستعداداً ... ورسالة في الحياة !

الطبيب

– (باعجاب) هل أنتِ ... طالبة جامعية ؟

هالة

– تخرّجت في السنة الماضية !

الطبيب

– من أي معهد ؟

هالة

– من الجامعة ... بالطبع !

المحقق

– (باهتمام) وماذا تعملين ؟

هالة

– أساعد ... ماما في المنزل !

الطبيب

– وهل تطيقين... الحياة المنزلية بعد تلك الدراسة الطويلة ؟

هالة

– ولمَ لا ... البيت هو مملكة المرأة ... النظيفة الواسعة ! إنه أوسع من المكتب ، مثلا ، وأنظف من ... الشوارع !

ام هالة

– (واضعة حداً للحديث) ... ومنذ أمس ، وأنا في همٍّ من أجله ..!

المحقق

– (بخبث) لا بد أن نعثر على ذلك الضال السعيد !

هالة

– (تبتسم بذكاء) ماما ... هي ابنة عمٍّ له !

ام هالة

– وهو آخر ... من بقي من أسرتي التي أفنتها الحزبية والهجرة ، منذ مئة عام !

المحقق

– وما اسمه يا سيدتي ؟

ام هالة

– سعيد الأبراهيم !

المحقق

– وهل تستطيعين تعيين أوصافه كما رأيته آخر مرة !

ام هالة

– ياحسرة! رأيته مرة واحدة في حياتي ... حتى الآن !
إنه طويل جميل ، على عينيه نظارتان مذهّبتان ، وله ...

هالة

– (متابعة) أنف طويل !

الطبيب

– (مازحاً) كأنف سيرانو ده برجراك !

هالة

– (بالروح نفسها)أطول قليلا ، ولكنه أنحف كثيراً !

أم هالة

– وهو ...

هالة

– (متممة)يريد أن يقيم في الوطن .. بعد غربة امتدت..

ام هالة

ــ (متممة) ثلاثين سنة ! إنه مولود في أمريكا يا روحي !

المحقق

ــ وهل تصدقين حضرتك هذه المزاعم ؟ يعود إلى هنا ، بعد أن صار مواطناً ... في تلك البلاد العظيمة !

ام هالة

ــ إبن عمي لا يكذب ! ... إنه ربي وعاش في بلاد متحضرة حرة ، فلماذا يكذب يا ترى ؟

الطبيب

ــ (الى المحقق) قد يكون هو الجريح المجهول الهوية ، وإن كانت جروحه ....

ام هالة

ــ (جازعة) أرجوك يا دكتور ! خبرّني كيف هو ؟ هل من خطر على حياته ؟

الطبيب

ــ إطمأني ... جروحه كبيرة ، ولكنها ليست خطيرة ! لذلك ضاعت ملامحه تحت الضمادات ! أما حياته ... فإنها في أمان ، لاتدعو إلى القلق أبداً ... وإن كان لم يزل غائباً عن الوعي !

المحقق

— (متملقاً) إذن علينا أن ننتقل إلى حجرة الجرحى ... فلعلَّ هالة بسحرها تعيد إليه الصواب !

[ام هالة ترفع يديها لتستر بهما عينيها جزعاً — الشرطي شكيب افندي يعود حاملا الورقة ، يحيي ثم يعيدها الى المحقق]

الشرطي شكيب افندي

— (بغباوة نموذجية) عبث .. عبث ... ياسيدي لم يردُّ عليَّ واحد منهم !

المحقق

— (مازحاً) لذلك لم تستطع أن تقبض ... على أحد !

[الستارة!]

الفصل الثالث

المشهد الأول

●

(حجرة كبيرة للمرضى ، وهم في اسرتهم ... ممرضات يرحن ويجئن – الطبيب – المحقق – الشرطيان – هالة – وأم هالة – وهم يطوفون على الجرحى واحداً واحداً)

المحقق

– أنظري بإمعان ... هل هذا هو ابن عمك ؟

ام هالة

– (تمعن النظر) كلا كلا ! إبن عمي أحلى !

الطبيب

– وهذا الجالس هناك ويده مربوطة إلى رقبته ...؟

أم هالة

– ولا هذا ... فابن عمي أطول ، وأشد بياضاً !

الطبيب

– أعتقد ان الأوصاف التي ذكرتها السيدة .. تنطبق على

الجريح رقم ١٣ ، في الغرفة الثانية ، يا حضرة المحقق !

المحقق

ـ أنا عارف ... ولكن أردتُ استكمالا للتحقيق أن أبدأ من هنا !

ام هالة

ـ أرجوك ... أرجوكم خذونا الى غرفة ابن عمي، من دون تحقيق !!

هالة

ـ هل المقصود من التحقيق الكشف عن الحقيقة ... أم إضاعة الوقت ؟

المحقق

ـ معك حق يا آنسة ... الأجرآات الأدارية بطيئة ... ولكنهـا أضمن للعدالة !

الطبيب

ـ وأنا معك يا آنسة لا أفهم لماذا يطلبون إلينا مثلا تشريح جثة قتيل ثبتت وفاته ، وُعرفت أسباب الوفاة !

المحقق

ـ هذه قضية أخرى ... ربما كان الطب الشرعي مسؤولا عنها ! ولكنها، على كل حال ، لها ما يبرّ رها .

« فجناية الغاردينيا » التي ظلّت غامضة ، برغم تشريح الحثتين ، أثبتت أن الجاني ... كان لصاً أفتُضح أمره، لاعاشقاً مجنوناً ، أو زوجاً مخدوعاً !

المشهد الثاني

●

[تدخل الممرضة أدما فرحة مستبشرة]

الممرضة ادما

– الجريح رقم ١٣ ... صحا من غيبوبته !

الطبيب

– متى ؟

ادما

– الآن ... منذ لحظة ! صحا ، صحا ... تماماً !

المحقق

– كيف تمّ ذلك ؟

ادما

– كنت جالسة قربه ... أفرك أصابعه المثلجة بيد ... وأمسح ، باليد الثانية ، جبينه المندّى بالعرق البارد !

المحقق

– (مقاطعاً) هذا وحده ... منعشٌ كافٍ !

ادما

– (متابعة) ثم أخذت أتمم ببعض الأغاني البلدية ... القديمة !

المحقق

– أبو الزلف أم ... على دلعونا ؟

ادما

– (متابعة) ...حتى استذكرتُ ... أغنية كانت أمي ... المرحومة ترتلها لي كل صباح ، وأنا في سريري ... أكمل أحلام الليلة البارحة ...

الطبيب

– ثم ماذا ... قولي ... بسرعة !

أدما

– فلما وصلت إلى المقطع الأخير ... حيث يقول الشاعر :

« وصحوتُ ... فإذا بي أسبح في بحر من الحنان ،
وأنعم على عرش من الحب : هما عينا أمي الجميلتان ،
وحضنها الدافئ ... »

ام هالة

– (متبرمة) وماذا كان ؟

ادما

ـ (ببراءة) كان ... أن فتح الجريح عينيه ... وشدَّ بأصابعه على يدي هذه ... وقبَّل بفمه يدي هذه ...

المحقق

ـ وأنت ماذا فعلتِ ؟

ادما

ـ ماذا فعلتُ ؟ صحيح ياربي ماذا فعلت ؟ لم أفعل شيئاً لأنني نهضت خائفة ... وجئتُ مسرعة لأقص عليكم ... هذه الأعجوبة !

الطبيب

ـ وأي أعجوبة ! إنها حقاً أعجوبة خارقة !

المحقق

ـ أعجوبة ... العطف والحنان !

الطبيب

ـ أعجوبة ... الحب والطب !

أم هالة

ـ أعجوبة ... القديسين والأولياء الصالحين ... الذين نذرتُ لهم النذور !

هالة

ـ أعجوبة الحياة ... التي تقهر الموت مرّات ... قبل أن يقهرها الموت مرة واحدة !

المشهد الثالث

●

[يدخل فايز]

المحقق

ـ (الى فايز) وأين الكاتب ؟ إننا بانتظاره لتدوين محضر التحقيق !

فايز

ـ لم أجده يا سيدي في مكتبه ! وقد علمت أن امرأته ... ربما كانت ... إنها على وشك ... !

المحقق

ـ قلها ... بسرعة !

الطبيب

ـ لابدّ أنها ... حامل !

فايز

ـ بلى ، كما تقول يا دكتور ! فهي بحاجة إلى معونته، ولاسيما أنها تضع ... في منزلها للمرة العاشرة !

المحقق

– ولماذا لم تذهب إلى دار التوليد ... ؟

فايز

– الظاهر أن ... الأكلاف هناك تفوق قدرة ... موظف صغير !

المحقق

– (بحسرة) وموظف كبير ... أيضاً !

الطبيب

– (مازحاً) لذلك يتحتم على الموظفين أن يقللّوا ... من نسلهم الشريف !

المحقق

– (جاداً) ومن يعمُر البلاد إذن ، يا دكتور ؟

الطبيب

– المغتربون إذا عادوا !

ام هالة

– «دخلك» يا دكتور... لاتقل شيئاً عن المغتربين ! هذا واحد منهم ، ابن عمي ، عاد ومضت أربع وعشرون ساعة على وجوده تحت سماء البلاد ... دون أن يتمكّن من ...

المحقق

ـ أن يتزوجك ؟

أم هالة

ـ (عاتبة دون غضب) أرجوك ... أنا أم فتاة صبية ...
وهي برسم الزواج ، لا أنا !

المحقق

ـ آه ... عفواً ! ولكنك أنت شابة أيضاً ! (ثم الى هالة برقة)
لماذا تستحين ؟ لا حياء في ... الدين !

الطبيب

ـ ولا في العلم ! أليس كذلك يا آنسة ... ؟

هالة

ـ (متممة) هالة ... إنني تعودت أن أسمع اسمي مجرّداً
عن الألقاب ، من أفواه الشبان !

الطبيب

ـ(منتشياً)شكراً ... لكِ على هذا الثناء! (ثم الى نفسه)
وهل أبدو شاباً حقاً ....كما تقول ؟

فايز

ـ(متهكماً للمحقق) وهل ندّون هذا ... الغزَل في
المحضر ؟

المحقق

– ومَن كلّفك تدوين المحضر ؟

فايز

– زميلي ... الكاتب التابع لهيئة التحقيق الأداري ! رجا إليّ أن أنوب عنه إذا لم يحضر ... بعد الساعة الثالثة ، عملا بروح التضامن المهني ... !

المحقق

– لابأس ... إذن إبدأ محضرك ... واذكر التفاصيل جميعها ، ثم خذ تواقيع الشهود !

فايز

– حتّى النساء والفتيات ؟

المحقق

– طبعاً ! فالمرأة، بعد نيلها حقوقها .. صارت مساوية للرجل !

الطبيب

– ولكن شهادتها ... لم تزل ناقصة ! إنها نصف إنسان لدى القضاء !

المحقق

– ستكتمل أهليّتها... تدريجياً دون شك ! ولا سيا المرأة

المثقفة ذات الشخصية المميزة !

ام هالة

– لا تقل مثقفة وغير مثقفة : الشخصية شيءٌ تهبه السماء ... مثل الذوق .

أدما

– ولكن الثقافة تصقله وتُبرزه !

هالة

– وتلوّنه كما يلون الرسام خطوط اللوحة بعد تركيزها !

فايز

– (متهكماً) وهل أدخل هذا ... الجدل الأسطيطيقي في محضر التحقيق ؟

المحقق

– لالا ! إقتصر في المحضر على ذكر الوقائع ! ثم هاتِه كي أوقّعه قبل أن ننتقل إلى الغرفة الثانية ! التحقيق يجب أن يوقع في مكان إجرائه بالذات !

المشهد الرابع

[يدخل الكاتب]

الكاتب

– (لاهثاً) عفوَك يا سيدي المحقق ... ! إمرأتي ...

يا حكيم ، إنها بحاجة إلى ... معونتك ! !

المحقق

– كيف تركتَها ؟

الطبيب

– أين هي الآن ؟

الكاتب

– في المنزل ... إنها تعاني سكرات الموت ! !

المحقق

– ألم تلد ... ألم تضع منذ الصباح ؟

الكاتب

– كلا يا سيدي ! جاءها ... المخاض ، منذ ثلاثة ايام ..
ثم لم ينقطع عنها ... وازدادت عليها الآلام !

الطبيب

– أهي تلد للمرة الأولى !

الكاتب

– أتمنى ان تكون هذه المرة ... الخامسة ؟

المحقق

– عد إلى منزلك يا ابني ... (ثم مستدركاً) يا أخي !
وسيتبعك الطبيب في الحال ... إذا تلطف واستجاب

لرجائي !

الطبيب

ـ عفواً ... أنت تأمر أمراً يا حضرة المحقق الإداري !

فايز

ـ (متهكماً) عفواً يا إسيدي ، هل أدخل هذه المجاملات في المحضر ايضاً ؟

المحقق

ـ (بذهول) دون شك ! (ثم مستدركاً) لا لا ! لا لزوم لهذه الحواشي ... فهي لا تؤثر على سير التحقيق ! ولا على سير الدعوى !

الطبيب

ـ أية دعوى ؟ للآن لم أرَ مدعياً كي تكون هناك دعوى !

المحقق

ـ الدعوى قائمة ... ضد مجهول !

الطبيب

ـ كيف مجهول ؟ أليس السائق الأرعن ... السواقون هم الجناة ؟

المشهد الخامس

[يدخل احد اولاد الكاتب بثياب رثة]

الولد الاول

– (بلهفة الى الكاتب) بابا ... ولدت ماما صبياً و بنتاً !

الـكاتب

– الحمد لله !

الطبيب

– توأمان ؟

المحقق

– مبروك ... يا ابني ، يا أخي !

فايز

– هل أسجل في المحضر أن الكاتب صار منذ الآن أباً ... لسبعة أولاد ؟

المشهد السادس

●

[يدخل ثاني اولاد الكاتب بثياب رثة]

الولد الثاني

– (بلهفة اشد) بابا ! ولدت ماما ايضاً ... صبياً ثانياً !

الـكاتب

– ماذا تقول صبّيان و بنت؟

الطبيب

– (بهدوء) ثلاثة توائم دفعة واحدة ؟

المحقق

– صبيّان وبنت ... هذه هدية عظيمة تُغبط عليها يا ابني ... يا أخي ؟

ام هالة

– يا لَلمسكينة ! يا لَلمساكين !

هالة

– وارحمتاه للأمهات !

ادما

– وارحمتاه للآباء !!

المشهد السابع

●

[يدخل ثالث اولاد الكاتب بثياب رثة]

الولد الثالث

– (بلهفة اشد) بابا ! ولدت ماما أيضاً ... بنتين !

الكاتب

– (بجنون وهو يضرب رأسه بقبضتيه) يا ويلتاه !

المحقق

– ماذا ؟ خمسة توائم ؟ يا َللمصيبة العظمى !

الطبيب

– (الى فايز) سجّل ... يا ابني سجّل ، هذا العدد حالا ، سجل خمسة توائم، قبل أن يصبحوا عشرة !

المحقق

– (إلى الكاتب) إستعجل يا ابني ، يا أخي ! إرجع إلى بيتك ، فلعل قدومك يسدّ ... هذا الباب !

[يخرج وهو يضرب رأسه بيديه ، وخلفه اولاده الثلاثة يتراكضون]

المشهد الثامن

●

فايز

– (متمماً كلام المحقق بتهكم) أو يحمل القادمين على بعض الخجل ! (ثم الى المحقق) هل هذا ... التوجيه هو للتسجيل يا سيدي المحقق ؟ (ثم لنفسه) يا َللمسكين! عشرة أولاد ... وراتب محدود !

المحقق

(إلى الطبيب) لا بدّ من إسعاف الأم المسكينة ... فما العمل ؟

الطبيب

– نتقلها الى المستشفى ؟

فايز

– ومَن يرعى ... بقية القطيع ؟

أدما

– أنا أتطوع ... لمدة أسبوع !

هالة

– وأنا أتطوع ... لمدة أسبوع ثانٍ !

المحقق

– بورك في الصبايا ... الجميلات !

الطبيب

– (مرائياً) بورك في الجامعيّات... أمهات المستقبل !

أم هالة

– (بفروغ صبر) يا دكتور! إبن عمي ... لا تنسَ ابن عمي ! أتركوني أرَه ، فأساعده بدوري ... !

المحقق

– تكرمي ... فوراً بعد اكتمال التحقيق !

فايز

– (الى المحقق) وصلتُ يا سيدي إلى الفقرة قبل

الأخيرة ... ! فماذا تريد أن تزيد على ما تقدم ؟

المحقق

ـ أكتب : وحيث أن الفاعل قد فرّ فلم نتمكن من إلقاء القبض عليه . وحيث أن السيارات الجانية قد حُجزت في هياكل بعلبك ، فاضطر المحقق إلى نقل الجرحى في سيارات الإسعاف الخاصة ، على نفقته ومسؤوليته .

وحيث أن المجنيّ عليهم لم يتقدموا بأية دعوى، لا ضدّ الفاعل الأصلي ، ولا ضدّ الفاعلين الفرعيين .

وحيث أن الجريح رقم ١٣ قد صحا من الأغماء الذي أصابه عقيب الاصطدام ، وأفقده الوعي مدة تقلّ عن أربع وعشرين ساعة . وذلك بفضل ... (ينظر إلى أدما برقة) مهارة الطبيب الشرعي الدكتور خليل أبو خليل، رئيس المستشفى العام، وعبقرية فنّه المعطاء .

وحيث أن ابنة عم الجريح قد أدلت إلينا بالمعلومات الكافية عن هويّة الجريح المذكور ، وكانت هي نفسها لم تُقم الدعوى كذلك لا ضدّ مجهول ولا ضدّ معلوم ...

فأننا نأمر بختم هذا التحقيق ، وباعتبار ...

فايز

– (متابعاً بتهكم) الحادث قضاء وقدراً ... كما أوصى بذلك معالي الوزير !

المحقق

– (موافقاً) ولكن ... لا لزوم للفقرة الأخيرة من هذه الجملة !

الطبيب

– ولكن ... الإحتمال الثالث، لا تنسَ الإحتمال الثالث يا سيدي المحقق !

المحقق

– (إلى فايز) أكتب إذن : ... وباعتبار الحادث قضاء وقدراً ... بإذن الله !

أم هالة

– (مستفسرة بسذاجة) بإذن الله ! وهل يريد الله الشر لابن عمي ؟

ادما

– معاذَ الله ... ربّنا لا يريد للناس إلا الخير !

هالة

– ولكن الناس ... الناس هم الشرّيرون ! نحن

الشرّ يرين !

ادما

– (تقترب من هالة) أرى أننا متفقتان في الرأي !

هالة

– ألم نلتقِ في الجامعة ؟

ادما

– ربما ... في السنة الأولى .

هاله

– يكفي أن نستقي من معين واحد ... حتى نتفق !

ام هالة

– (تقترب من الفتاتين ،ثم الى ادما) أنتِ من الجبل !

أدما

– كلاّ ... من الساحل ؟

أم هالة

– أنتِ تُشبهين بنت عمة المرحوم ... زوجي !

أدما

– نحن هنا جميعاً نتشابه كالأخوة .. او أبناء الأعمام !

هالة

– (موافقة) كأننا أسرة واحدة ! وأنا أرى سكان

بلادنا جميعها يتشابهون كالأهل !

ادما

– لأنهم ... استقوا من منبع واحد !

هالة

– صحيح ! حضارة واحدة، منذ الفراعين والفنيقيين، حتى البيزنطيين والعرب الأندلسيين !

الطبيب

– (يقترب من الفتاتين) أيكما أصغر سناً ؟

[الفتاتان تتضاحكان... ولا تجيبان]

فايز

– (ينهي المحضر) وللبيان كُتب في اليوم العاشر من شهر نوار، لعام السياحة والإصطياف الأول ! هل تريد ان توقّع يا سيدي هنا ؟

المحقق

– بكل سرور ... (يوقع)

فايز

– وأنتَ يا سيدي الطبيب ؟

الطبيب

– (وهو ينزع نظارتيه) أين ... يجب أن أوقّع ؟

المحقق

– (متندراً) وقّع حيث تشاء .. إلا إذا آثرت أن تظلّ تحت رحمة ... حواء !

فايز

– (شارحاً) فتؤجّل توقيعك ... حتى يوقّعن هنّ !

الطبيب

– وهل ينمو الإنسان إلا في كنفهنّ ... في ذلك الجو المشبع بالحنان ؟

فايز

– (الى ام هالة) تفضّلي إذن ... يا ستّ، ووقّعي أوّلا !

ام هالة

– (مستنكرة) أنا لا اوقّع ؟

المحقق

– ولماذا لا توقّعين ؟

ام هالة

– (مترددة) لأنني .. لا أكتب !

المحقق

– أبصمي ... توقيعك ، كما يفعل ... بعض الوزراء والعظماء !

هالة

-(معتذرة) نسيَت أمي الكتابة .. لأنها هجرَت الكتاب، منذ مدة طويلة !

المحقق

- جميع المثقفين عندنا ... يهجرون الكتاب، بعد نيلهم الشهادة ؟

فايز

- إذن وقّعي أنتِ عن أمك يا آنسة هالة ، وعن نفسك !

المحقق

- لا يجوز ذلك إلا ... بوكالة ، مصدّقة لدى الكاتب العدل !

هالة

- إذن أوقّع عن نفسي ... فحسب !

الطبيب

- وأنا اوقّع إلى جانب اسمك ... جوار لطيف ، وفأل حسن ... إن شاء الله !

هالة

- (متظاهرة انها لم تفهم) شكراً ... يا دكتور !

فايز

— (الى المحقق) هل توقّع الممرّضات أيضاً ؟

المحقق

— ألممرضة التي ... أحيت اليوم أليعازر الجديد !

الطبيب

— تعالي يا ... أدما ! وقّعي هنا... قريباً من اسمي ! ألا تريدين ؟

ادما

— (بغيرة ظاهرة) لم تبقَ وحدك يادكتور ... فلماذا الإصرار ؟

هالة

— (متهمكة) الطبيب رجل إنساني ... إنه للجميع !

ادما

— (وهي توقع) بالطبع ... في حدرد عمله المهني !

الطبيب

— (منتشياً) وخارج تلك الحدود ... في بعض الأحيان !

ام هالة

— (متفلسفة) مَن كان ... مِن الرجال بغير خطيئة...

فلَبرم ِ هذا الرجل بحجر !

المحقق

ـ ولماذا لا تقولين : ومن النساء أيضاً ؟

[الستارة]

الفصل الرابع

المشهد الأول

●

[حجرة ثانية من المستشفى العام – يبدو فيها الجريح رقم ١٣ بثياب النوم ، وقد حجبت الضمادات اكثر وجهه ويديه . انه واقف في وسط الغرفة ، والرقم ١٣ على صدره، وسريره إلى جانب في فوضى ...]

الجريح رقم ١٣

– (برصانة) ما أجملكِ ! ما أحلاكِ ! لم أحلم ... بمثل هذا الجمال ، ولا بمثل هذه الحلاوة !

– (يركع مناجياً) يا ربي .. أشكرك من صميم قلبي! لأنك طوّلت عمري ... حتى كحّلت عينيّ بمرأى بلادي، وجمال بلادي !

[يدخل الطبيب]

المشهد الثاني

●

الطبيب

– (جازعاً) ما بك ... يا ابني ؟..

الجريح رقم ١٣

– (ينهض) لا شيءَ ! لا شيءَ ! إنني كالحصـان ... كما ترى !

الطبيب

– (متلفتاً إلى المدخل) المحقق الإداري جاء ... وهو يريد أن يلقي عليك بعض الأسئلة ، قبل أن يختم التحقيق !

الجريح رقم ١٣

– (ثائراً) لا لا ! لا أريد !

الطبيب

– القانون يفرض ذلك ...

الجريح رقم ١٣

– والقانون يجيز لي أن أرفض الإجابة .. إلاّ بحضور وكيلي !

الطبيب

– أين وكيلك ؟

الجريح رقم ١٣

– في ... النيويورك !

الطبيب

– (يدعو المحقق) تفضّل يا سيّدي تفضّل ! إعمل واجبك !

المشهد الثالث

●

[يدخل المحقق وفايز]

المحقق

– نهارك سعيد ... يا مستر !

الجريح رقم ١٣

– إنني لا أحب أن أسمع لغتين في جملة واحدة ...

المحقق

– بأية لغة تريد أن أخاطبك ؟

الجريح رقم ١٣

– إما أن تكلمني بالعربية لغة أمي وأمّك ، وإما أن تكلمني بالإنجليزية ... لغتي الثانية التي أقدّسها أيضاً !

المحقق

– (معجباً بتواضع) عفواً يا سيدي ! معك حق ! أنا أخطأت ؟ (بعد فترة) أرجو أن تكون جروحك لا تؤلمك الآ ن !

الجريح رقم ١٣

– لا لا ! هي لم تؤلمني قبل الآن حتى أشعر بألمها الآ ن ! هذه الجروح ... خدوش ! الرجل لا

يتألمّ من خدش أصابه ! نحن تعوّدنا في نضالنا من أجل الحياة ... أن نَجرح ونُجرَح ... ونموت ! لذلك اسمح لي بأن أسألك عما إذا كانت « سلامتك » الدائمة لا تؤذيك ... يا سيدي ، أو لا تضرُّ بك « الراحة » كما تضرّ بالحصان الأصيل !

المحقق

– (مستأنفاً بتواضع أشد) عفواً مرة ثانية ... لم أقصد إغضابك إلى هذا الحدّ يا سيّد ...

الجريح رقم ١٣

– اسمي « سايد أبراهام » في أمريكا – وهنا سعيد الإبراهيم ! فما اسمك أنت ، حتى نتعارف !

الطبيب

– (مبادراً) عفواً ... لم أعرّف بعضكما إلى بعض ، أنا المخطئ ... سعادته يوسف بك أبو نبّوت المحقق الإداري !

الجريح رقم ١٣

– تشرّفنا ... أنا في أمريكا راعي بقر ! (يحرك يديه كمن يتفقد مسدسيه) وقد جئت لأزور وطني ... الأصلي ، الذي لم أعرفه ! أبي مات وهو يوصيني بزيارة بلادي!

بلادي هذه ... قبل الولادة ! وأمي أوصتني أيضاً ... بجلب «تنكة» من تراب الوطن لرشه على قبرها ... هناك في بلادي ، بعد الولادة !

[يعتري الحضور خشوع ... وتدمع بعض العيون فيجففونها بالمناديل]

لذلك ... كان أول عمل عملته، ساعة وصلت إلى المطار ... هو الركوع فوق هذا التراب الغالي ... وتقبيل هذه الأرض المقدسة !

[بعد فترة صمت]

بعدئذٍ ذهبتُ إلى بلدتي قبل الولادة ... بلدة أمي ، كي أجلب لها تنكة التراب ، من الحقل الذي نشأت هي فيه ، وتبارك هو بعرق جبينها ، ودماء الآباء والأجداد .

حينما رجعتُ ... كان السوّاق مسرعاً ... جداً ! قلتُ له مراراً : على مهلك ... فكان يردّ عليّ مرّة ، فيقول : عندي طلب ثان . ومرّات لا يردّ ... لأنه كان يغنّي ! كان يصاحب هدير سيارته بغناء بلدي « سانفونيك » ... جميل !

المحقق

_ (مازحاً) عتابا !

الجريح رقم ١٣

ـ نعم عتابا ... كما تقول !

[فترة صمت]

عند مفترق الطرق ... الثاني، وجدنا سيارات السيّاح متصادمة . فلم يقدر « سوّاقي » أن يوقف سيارته ... في الوقت المناسب . فاصطدم بها ... بدوره !

الطبيب

ـ هل تحطّمت السيارة ، سيارتك ؟

الجريح رقم ١٣

ـ نعم ... والسواق تحطم معها !

[بعد فترة]

هذا كل شيء ! أما أنا فلم أحسّ ولم أتألّم ... بل على العكس (وهو ينظر إلى الأفق البعيد) تمتّعت بأجمل ... منظر رأته عيناي في حياتي !

الطبيب

ـ الحمد لله على سلامتك ! نقولها لك الآن ... بعد أن أنقذك الله ، ببركة رضاء أمك !

الجريح رقم ١٣

ـ إنما أسفت ... على شيء واحد ، هو ضياع تنكة

التراب !

المحقق

- (ساخراً) بامكانك أن تأخذ ما شئت من التراب من هنا ... فهو عندنا أرخص شيء ، تجرفه السيول إلى البحر !

الجريح رقم ١٣

.. أبداً أبداً ... لا يجوز ! أمي أوصتني ... فيجب ان انفذ وصيتها حرفاً حرفاً !

فايز

-- (إلى المحقق) هل أسجل ... هذه الإعترافات يا سيدي ؟

المحقق

- لا بد من تسجيل الوقائع !

الطبيب

- أنا أعتقد ... أن ذلك لا يفيد التحقيق شيئاً !

فايز

- ولا سيما أننا ختمناه ، ختمنا التحقيق منذ لحظات !

المحقق

- من يختم شيئاً يفضه ، بالسهولة نفسها !

الطبيب

– ولكنه يحتاج أحياناً إلى عملية ... جراحية !

المحقق

– (إلى الجريح رقم ١٣) وهل تريد يا مستر ... عفواً، يا سيدي سايد ؟

الجريح رقم ١٣

– سعيد ... مِن فضلك !

المحقق

– (بنفاد صبر) يا سيدي سعيد الإبراهيم راعي البقر ... هل تريد أن تدّعي على أحد ؟

الجريح رقم ١٣

– تعني السوّاق ؟ ما الفائدة ... كان جزاؤه من جنس عمله ...

المحقق

– ماذا أصابه ؟

الجريح رقم ١٣

– إنفصل رأسه عن بدنه ... رأيته جثة هامدة ، قبل أن ... أجيء إلى هنا !

المحقق

- (باهتمام مصطنع) إذن ... القتيل الوحيد في الحادثة... هو السوّاق ... ! لقد كفانا هذا مهمة التحقيق والقبض على القاتل ! (الى الطبيب) هل ترى داعياً لتشريح الجثة يا دكتور ؟

الطبيب

- كانت هناك صعوبة في معرفة هويّة القتيل ... بسبب انفصال الرأس عن الجثة ! فالرأس رأس رجل أميّ، ينطق بالجهل والغباوة ، والجثة جثة انسان ، تضجّ مظاهره بالغنى والترف !

المحقق

- لا تنسَ يا دكتور.. أن هذه السنة هي السنة الأولى للسياحة والاصطياف ! فمن الطبيعي أن تكثر أرباح السواقين والفندقيين وأصحاب المقاهي والملاهي ، ودور القمار ، والسماسرة ...

الطبيب

- (متابعاً) إذن جميع الناس !

فايز

- بماذا أختتم الحاشية الجديدة على التحقيق ...

يا سيدي ؟

المحقق

– أكتب : حاشية أولى : وحيث أن التحقيق الدقيق ... المستمرّ قد كشف عن هوية الجريح رقم ١٣ ، وكذلك أدّى التحقيق الدقيق المستمرّ الى معرفة صاحبي الجثة رقم ١ ، والرأس رقم صفر ... فإن ...

الطبيب

– (متابعاً) فإن المحقق الأداري يرى عدم اللجوء إلى تشريح الجثة ، ما دام الرأس رقم صفر هو رأس الجثة رقم واحد . دون شك .

المحقق

– (موافقاً) وحيث أن الجريح المذكور قد استعاد وعيه ، وثبت بالتحقيق الدقيق المستمرّ ... أنه غير سائح أجنبي ، بل مغترب عائد كي ، ينفّذ وصية أمه بعد الوفاة !

وحيث أن الجريح المزبور ...

فايز

– (محتجاً بتهكم) المزبور يا سيدنا ؟

المحقق

– (بتهكم) نعم ... المزبور يا ابني ... وحيث أن الجريح المزبور يرفض بإصرار إقامة الدعوى على السواق مسبّب الحادثة برعونته ، وحيث أن السوّاق المزبور ...

فايز

– (بتهكم) المزبور ... أيضاً يا سيدنا !

المحقق

– (بتهكم) نعم يا سيدي ... المزبور ، السواق المزبور قد لقي حتفه ... فوراً . وحيث أن لا مدعي ولا مدعى عليه ، في هذه القضية التي وقعت قضاء وقدراً ..

فايز

– (متهكما) بإذن الله !

المحقق

–(متابعاً) فقد أمرنا ، نحن المحقق الإداري يوسف أبو نبّوت ، بحفظ هذه الأوراق مرة ثانية !

الطبيب

– أحسنت يا استاذ ! أنا شاكر جداً للطفك ... فقد وفـّرت علي ساعة مرهقة من العمل المزعج !

المحقق

– لا شكر على واجب .. فنحن من «ضيعة» واحدة ! ثم أنت وفّرت عليّ يا دكتور مشقة كبيرة ... فلو تابعتُ هذا التحقيق الدقيق المستمرّ ... لما انتهيتُ منه قبل سنة من الزمان !

الطبيب

– على ذكر التحقيق ... المستمرّ ، قل لي يا عزيزي.. لماذا هذا البطء في إنجاز التحقيقات والتدقيقات ... ؟

فايز

– (بتهكم) علم ذلك عند الله ... أليس كذلك يا سيدي المحقق ؟

المحقق

– (متمثلا) في فمي ماء ! (ثم الى فائز) أكتب يا ابني ما أمليتُه عليك ، فقد أمرنا بحفظ هذه الأوراق الى .. إشعار آخر !

المشهد الرابع

[تدخل هالة وأمها وقد تزينتا أحسن زينة]

ام هالة

– (مقبلة على سعيد الابراهيم) الحمد لله على السلامة ...

الحمد لله على السلامة يا ابن عمي ! (تعانقه) نذرتُ خمسة نذور للقديسين وللأولياء الصالحين... إذا نجّاك الله ... وقد نجّاك ! الحمد لله على السلامة ... ألف الحمد لله على السلامة يا ابن عمي الحبيب !

هالة

– (بحياء وحذر) شغلتَ لنا فكرنا ... طول الليل ، يا ابن عمي ! (ثم مستدركة) يا ابن عم الماما !

[تصافحه ببرود]

سعيد الابراهيم

– الله يحفظك يا ... « آلة » ويحفظ بنت عمي ! أمي كانت توصيني دائماً ، وتقول : إذا عدتَ يا ابني إلى الوطن الأصلي ، سلّم على ابنة عمك ، وذكّرها بالعهد الذي بيننا !

ام هالة

– (متباكية) الله يرحمها ! أحبّت هالة ... قبل ان تولد ! بل احبّتها قبل أن يتزوجني المرحوم ، يا طول حسرتي عليه !

الطبيب

– (بتهكم) هذا ... حب خالص ! حب روحاني !

هالة

– (باهتمام وجد) ألا تؤمن ... بالحب يا دكتور ؟

الطبيب

– (متأملا هالة التي استأثر باهتمامها) يا سلام ! وكيف لا ؟ (ثم نازعاً نظارتيه ومقترباً منها) إذا كان الحبيب ملاكاً روحانياً ؟

هالة

– (متضاحكة ثم حالمة) ليس على الأرض ملائكة يا دكتور ... جميعنا بشر ! تتعارف أرواحنا فنتقارب ، أو تتنافر تلك الأرواح فنتباعد !

سعيد الابراهيم

– (الى الطبيب) هل تعرف بنت ... ابنة عمي منذ زمان ، يا دكتور ؟

الطبيب

– (وهو مأخوذ بجمال هالة) هل أعرفها ؟ ... (ثم لنفسه) نعم أعرفها منذ الأزل ... !

هالة

– (لنفسها) وأنا يخيلّ إليّ أنني أعرف هذا الأنسان منذ زمن بعيد ... بعيد !

الطبيب

– (هامساً) بحثتُ طويلا ... طويلا حتى وجدتُ ! نعم حتى وجدتُها !

ام هالة

– (الى سعيد الابراهيم) يا ابن عمي ، لو شرّفتَنا في الربيع ! الأزهار والطبيعة أجمل عندنا في الربيع !

سعيد الابراهيم

– الطبيعة ... في لبنان ربيع دائم ! والأزهار .. فيه منتشرة في كل مكان .. (مشيراً الى هالة ثم الى الممرضة أدما التي تدخل فتتجه اليها جميع العيون ، الا عيون الطبيب وهالة) نعم .. الأزهار الجميلة في كل مكان !

المشهد الخامس

[تدخل الممرضة ادما]

أدما

– (إلى الطبيب) الجريح رقم ٥ ... بحاجة إلى إبرة بنسلين ... يا دكتور ، وما وجدتُ منه شيئاً في الخزانة !

الطبيب

– (وكأنه يصحو من حلم) وجدتُها ، وجدتُها !... ما

وجدتُ ... ها ؟ ماذا تقولين ؟ ما وجدتِ ! ماذا تقولين ؟

أدما

– قلتُ ما وجدتُ بنسلين في خزانة الأدوية !

الطبيب

– الحمد لله ! ظننتُ ... ظننتُ شيئاً آخر ! لا ! هذا لا يعنيكِ ... إنه يعنيني أنا وحدي ! أطلبي بالتليفون مستودع الأدوية في الحال ، واسأليه عن الكمية التي أوصيناه عليها ... من البنسلين !

سعيد الابراهيم

– (يتقدم من أدما ويمسك بيدها) ألا تسألين عني ..؟ لماذا نفرتِ ... وتركتني وحدي ؟

أدما

– (بلطف وارتباك) أرجوك ... إنني مشغولة الآن !

سعيد الابراهيم

– ومتى أراكِ !

الطبيب

– (بتهكم وقد سمع السؤال) بعد أن تطلب كمية البنسلين بالتليفون !

[تنصرف أدما]

المشهد السادس

●

المحقق

– لم يبقَ أمامي إلا أن أنصرف ... بدوري !

الطبيب

– خسارة ... ذهابك يا سيدي المحقق ! كان قدومك اليوم خيراً ... خيراً علينا !

المحقق

– بالطبع الدنيا وجوه وأعتاب ! جئناك بعدد من الزبائن ... إلى المستشفى !

الطبيب

– عفواً ... يا عزيزي يوسف بك ! أنا لم أقصد هذا أبداً ! المستشفى ... هذا المستشفى مؤسسة انسانية ، والطبيب عامل إنساني !

المحقق

– من دون شك ... باعتبار ما يجب أن يكون ! ولكن ! أيّ خير جلبتُ لكم ؟

المشهد السابع

[يدخل جميل]

جميل

– (الذي يسمع الجملة الأخيرة) كل الخير . جلبتَ لي ، أنا مثلا ، يا سيدي المحقق !

المحقق

– (إلى ام هالة القريبة منه) مَن حضرته ؟

أم هالة

– محاسب شركة التأمين ...

جميل

– (بتحد ظاهر) حادثة السيارات ... عرّفتني إلى إحدى السائحات ! إنها مليونيرة ، وصبية حلوة ... و ...

المحقق

– وما دخلي أنا في الموضوع ؟

هالة

– (إلى امها بتهكم) إيه ! مبروكة عليه !

ام هالة

– (بصوت مرتفع) وهكذا ستقبر الفقر يا جميل ... كما سأتخلّص أنا من همّ السعي لترقيتك !

المشهد الثامن

[يدخل الكاتب]

الـكاتب

– (بألم وحسرة وقد سمع آخر الحديث) الفقر هو فقر الموظف النزيه! فهل تقبلين يا سيدتي أن أحلّ محله في عطفك؟! درجة واحدة ، وحياة عينك ، تكفيني ... تكفي أولادي العشرة ، بعد أن حرموني من الترقية خمس عشرة سنة ، لأنني بلا ظهر ... بلا سند !

سعيد الابراهيم

– مَن هو ... هذا المسكين ، أبو العشرة ؟

الطبيب

– هو كاتب التحقيق ... رزقه الله اليوم بالذات مصيبة كبرى : وضعت امرأته خمسة توائم ، دفعة واحدة !

سعيد الابراهيم

– عظيمة ! عظيمة جداً هذه الأمّ ! أنا أتبرّع لها بعشرة آلاف دولار !

الـكاتب

– (كالمجنون) عشرة آلاف دولار ... (يقطعها

تقطيعاً ثم يقذف بغطاء رأسه في الفضاء) شكراً لك يا سيدي !
شكراً لا ينقطع ... فقد أنقذت حياة أسرة ،
وكرامة إنسان وحيد يعولها دون معين !

المشهد التاسع

●

[تدخل ادما]

ادما

– منذ أربع وعشرين ساعة لا أسمع هنا إلا .» حفيف
الدولارات ... ثم لا أرى منها شيئا !

سعيد الابراهيم

– (بتحبب) تكرم عينك ... « دارلنغ » ! عفواً
يا عزيزتي ! لكِ عندي نصف مليون دولار ،
إذا شئتِ !

الطبيب

– (بسخرية) أجرة ... سهرها عليك ؟

سعيد الابراهيم

لا ! هدية ... الخطوبة !

ام هالة

– (تكاد يغمى عليها) يا ويلي عليك قطعتَ الحبل فينا ؟!

هالة

– (ملتفتة نحو الطبيب وبتهكم) أنا لا تبهرني ثروة المال !

الطبيب

– (بجد وانجذاب) ثروة الحب... الحب الروحاني ، أبقى وأخلد !

أم هالة

– (آسفة) ولكن المال ... أقوى من الحب !

جميل

– انه أنفع وأبقى !

الكاتب

– انه الأساس الماديّ ... للحياة !

سعيد الابراهيم

– (مناجياً السماء ومشيراً إلى أدما) عدتُ يا ربي لأجلب حفنةً من تراب الوطن . . . فوجدتُ الوطن كلّه مجتمعاً في حفنة من ... الجمال !

المحقق

– أنا واثق ، دون أن أفتح تحقيقاً جديداً ... من أن إخوانك المغتربين سيعودون ... يا سيدي سعيد الابراهيم ؟

الطبيب

– (باندفاع) سيعودون دون شكّ ...

فايز

– كما عاد اللاجئون من قبل ، جميع اللاجئين ... إلى أوطانهم !

سعيد الابراهيم

– معك حقّ ... سيعودون ، سيلبّون هذا النداء الصارخ ...

الطبيب

– نداء الوطن ... قويّ كنداء الحياة !

المحقق

– أصيل ... كنداء الحب !

فايز

– عميق ... كنداء الأرض !

سعيد الابراهيم

– (مستأنفاً) بلى سيعودون .. ولكن بشرط !

الجميع

– وما هو ؟

سعيد الابراهيم

- إذا كان وراءهم أمهات يستأهلن هذا الإسم ...

[ثم يضم أدما إلى صدره ، بيد ، وأم هالة باليد الثانية]

الطبيب

- الأمّ ... هي الحارسة الأمينة على تُراث الوطن !

المحقق

- على كل تّراث ... وخاصة اللغة !

فايز

- اللغة هي التي تُذكي ذلك الحنين عند المغتربين !

الكاتب

- بل هي الصلة المادية ... التي تشد الإنسان إلى وطنه !

أم هالة

- (تحاول التملص من قبضة سعيد الحديدية) أنا أعرف أن المرأة وراء كل خير !

هالة

- لماذا لا يعترف بهذا ... الرجالُ أيضاً ؟

جميل

- بل هي وراء كل خير إذا شاءت ، وأمام كل شرّ

إذا شاعت !

[هالة وأدما تتأبطان ذراع رجليهما]

ادما

– والرجل هو ... الخير كل الخير !

هالة

– (وهي تحدج جميلا وتتحدى سعيداً) وهو الشرّ كل الشرّ !

الطبيب

– (إلى الفتاتين) أنتِ وهي على حقّ ... ولكن الإحتمال الثاني غير وارد عندنا ... في بلادنا المقدسة ! أليس كذلك يا عزيزتي هالة ؟

المحقق

– صحيح ... ففي بلاد الخير والجمال ، لا يمكن أن يكون الناس إلاّ ...

جميل

– (مقاطعاً وكأنه يرد على هالة) أهلَ محبة وعبّاد جمال ، رُسل خير ودُعاة سلام !

فايز

– (موافقاً) البيئة تصنع الإنسان !

المحقق

– (مشيراً إلى كل من الخطيبين) أعتقد أن هذا هو خير ما نختم به ... يومنا ، بعد أن ختمنا التحقيق !

جميل

– (وهو يقبل صورة يخرجها من جيبه) يومنا وكل يوم... يا سيدي المحقق الجليل !

الطبيب

– بل خير ما يختم به كلٌ منا ... حياة العزوبة التافهة !

سعيد الابراهيم

– حياة الفوضى والبوهيمية الفارغة !

أم هالة

– بل هذا خير ما تتوّجون به حياتكم ... يا أحبابي ! (ثم برقة وحسرة إلى سعيد) الرجل يا ابن عمي . . . تاج على رأس المرأة ...

ادما وهالة

– (موافقتين دون خبث) تاج لا تراه إلا الأرملة !

سعيد الابراهيم

– صحيح ! إنه مثل الوطن ... لا يعرف قدره إلا

مَن فقَده !

المحقق

– (متمماً) فصار لاجئاً أو .. مغترباً !

[الستارة]

•

كتب مطبوعة للمؤلف

خطيئة الشيخ	رواية صدرت	١٩٣٨
الحاج بحبح	مجموعة قصص صدرت	١٩٤٤
حمامة الوادي	مجموعة قصص صدرت	١٩٤٧
تيسير اللغة العربية	دراسة لغوية صدرت	١٩٥١
على دروب الحياة	مجموعة قصص صدرت	١٩٥٣
في بطون الليالي	مجموعة قصص صدرت	١٩٥٣
لم يذهب مع الريح	قصة طويلة مصورة صدرت	١٩٥٣
الفرسان الاربعة	ملحمة صدرت	١٩٥٥

كتب مخطوطة

تاهاتا أونارونور	رواية	تصدر قريباً
سعادة المدير	قصة طويلة	
صراع	مسرحية	
أسد البحر	مسرحية	
أعمى صيدون	مسرحية	
عوانس	مسرحية	

RASHAD DARGHOUTH

They will Come Back

Play in 4 Acts

تم طبع هذه المسرحية في ٣٠ حزيران سنة ١٩٥٦ على

مطبعة دار الكتب - بيروت